روائع القصص البوليسية

السفاح

هتشكوك

كتبة معروف

روائع القصص البوليسية

السفاح

محمد عبد المنعم جلال

مكتبة معروف

الإسكندرية، ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٧٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة، ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ١٢٧٠ الإسكندرية

الطاعة العمياء

أصاب أمبروز دى باج شهرة كبيرة كأعظم منوم مغناطيسى فى العالم لمدة عشر سنوات كاملة ، ثم شحب نجمه ، ولم تعد ألاعيبه وخدعه تثير الجمهور كما كانت تثيره من قبل ، شأنها فى ذلك شأن مقدرته فى التنويم المغناطيسى ، خاصة وأن هذه المقدرة قد قامت بصورة خاطئة حول قضية برايدى مورفى .. وشيئا فشيئا تحولت شهرته إلى انحطاط كبير بعد أنشاء مدرسة دى باج لتعليم السحر والتنويم بشارع ملروز ، بالدور الثانى من بيت عتيق كان قبل ذلك عيادة طبية .

ومن نافذة مكتبه بالبيت المذكور ، حيث يزاول مهنته بالمجان رغما عنه شاهد البيت المجاور له يهدم ويزال من مكانه ، وكان يستخدم مخزنا لحفظ الموبيليا والأثاث .. وبعد أن أزيلت أنقاضه ، وسويت الأرض رأى المدرس الذى يفتقر إلى التلاميذ أن عملية الهدم قد كشفت عن عمارة كبيرة خلفها وأن الجزء الذى انكشف بهذه الطريقة يضم مكتبا لم يكن هناك أى شك فى أنه مكتب مدير شركة بلو فرونت التجارية ، ورأى بالمكتب المذكور ، من خلال القضبان الحديدية للنافذة ، الخزانة التى يحتفظون فيها بإيراد البيع

ولم يكن للمنوم الكبير الفاشل من عمل كل يوم تقريبا إلا ذلك العمل المرهق ، وهو تكدس الإنذرارت والفواتير غير المدفوعة بعضها فوق البعض .ولم يلبث أن أحدث فيه منظر الخزانة الذى يطالعه باستمرار تأثيرا عجيبا وقبل أن يعى تماما المؤامرة التى حاكتها خلاليا مخه كانت الفرصة قد واتته لكى يتحقق من أن شركة بلوفرونت تحقق أكبر الإيرادات خلال عطلة نهاية الأسبوع ، وأنه بسبب مواعيد البنوك كانوا يتركون الإيرادات المذكورة بخزانة الشركة من مساء السبت حتى صباح الاثنين .. وبفضل المنظار المعظم الذى اشتراه من محل بلوفرونت بالذات ، استطاع أن يقدر متوسط الأيراد فى عطلة نهاية الأسبوع بنحو عشرين ألف دولار بخلاف الشيكات ..

صفوة القول ، كان الإيراد فى تلك الفترة مبلغا لا يستهان به .. وازداد اهتمام دى باج بالخزانة يوما بعد يوم .. وبفضل قوته الذهنية التى يستطيع أن يهيمن بها على عالم بأسره أمكنه أن يستوعب شتى الاحتمالات التى تقدمها له حيازة الإيراد الأسبوعى لبلوفرونت ، فأنه يستطيع أن يجدد عندئذ جميع معداته بالمدرسة ، فسيكون فى مقدروه أن يقوم بجولة كبيرة فى أسبانيا ، وهو الحلم الذى يراوده منذ وقت طويل .. وبأصابعه الرقيقة راح دى باج يسوى شعره الذى بدأ الشيب يدب فيه .. وكان يبدو وقورا ، كما كان رشيق الحركة عرف كيف يحافظ على قوامه ، فلم يزد وزنه ولا نصف كيلو منذ عشرين سنة .. أما الموهبة فلم يكن يفتقر إليها ،لأنها كانت لا تزال تكمن فى أغواره لا تنتظر لكى تظهر إلا المقدمة الموسيقية ورفع الستار .

وفى خلال الأسبوع الرابع لازالة البيت الذى كان أمامه ، وفى يوم الأحد بالذات ، كان دى باج يتابع بمنظاره المعظم مدير الشركة وهو يحصى

الأوراق المالية من فئة العشرين دولارا المكدسة أمامه ، وكان قد فرغ من عدّ الرزمة السادسة ، وكان أمبروز قد سجل أرقام الرزم الخمس السابقة فى دفتر صغير أمامه وكان مستغرقا فى عمله هذا فلم ينتبه إلى الزائر الذى دخل وما كان لينتبه إليه لو لم يكشف الرجل عن نفسه بزعطه حادة كان يحاول التخلص منها عبثا ، واستدار دى باج فى مقعده الدوار لمواجهة الفضولى فقال له هذا الأخير فى كلمات متقطعة :

– أرجو المعذرة لازعاجى أياك ، ولكننى رأيت النور منبعثا من مكتبك وقد حاولت كل شئ قبل ذلك .

وتحولت كلماته الأخيرة إلى أنة حزينة ، فى حين تشبث الرجل بيديه بالمكتب ، وعيناه المحومتان تتوسلان فى طلب المساعدة .. وأدرك دى باج أن المسكين يتألم من أزمة حادة من الزغطة وأنه أتى للعلاج عن طريق التنويم المغناطيسى فقال له :

– إن التنويم لاينفع مع كل الناس ..لابد أن ترتضيه .

تأوه الرجل وقال :

– إننى كذلك ..

أدار دى باج ظهره ، على مضض ، للخزانة التى تظهر من نافذة بلوفرونت .. وبدأ بالاسطوانه الدائرة ، وكانت النتيجة سريعة فأن المريض فى لهفتة ، لم يبد أية مقاومة .

وقال دى باج :

– استرخ الآن .. لقد انتظم تنفسك وزالت عنك الزغطة ، وما أن أفرقع

بأصابعى حتى تصحو وقد عوفيت تماما .

وفرقع دى باج بأصابعه ، ففتح الرجلِ عينيه ، وكان فى حالة طيبة وقال وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة :

أشكرك ياأستاذ .. إنك أنقذتنى من ورطة .. أنك عبقرى .

وكان مبالغا فى قوله هذا بعض الشئ طبعا ، ولكن دى باج تقبل المديح فى سرور ، ثم أن الرجل كان ظريفا بعد أن زالت عنه الزغطة وبعد أن استرد وجهه لونه الطبيعى وقال :

– اسمى وينج .. كاوينج .

وقال دى باج :

– وأنت طبيب أسنان ..

وأردف يقول وهو لا يملك نفسه من ألقاء نظرة على مكتب مدير بلوفرونت حيث كان المدير نفسه لا يزال يحصى النقود :

وقد أقمت عيادتك تحت مكاتبى .. وإنه لمن الغريب أن تأتى إلى العيادة مساء يوم أحد على الرغم من أنني لم أسمع أزيز المثقاب .

قال وينج :

– لا أستطيع مزاولة مهنتى فى هذه الولاية بعد ..لأننى لم أحصل على التصريح القانونى حتى اليوم .

ولكنك دفعت الإيجار .

قاطعة وينج قائلا :

– بل اشتريت العيادة ...نعم إننى أشتريتها كنت أزاول مهنتى فى أريزونا ، ولكن لأسباب عائلية ، وبسبب زوجتى السابقة بالذات نقلت نشاطى إلى كاليفورنيا ..ولابد لى من البقاء معقود الذراعين حتى أجمع مصاريف الرخصة .

وبحركة آلية أنتقل بصره إلى نافذة بلوفرونت المضاءة ثم لحظ المنظار المعظم فوق مكتب دى باج والأرقام المدونة فى الدفتر الصغير .. واستنتج من ذلك أن ذهنيهما قد تلاقيا فى مصادفة عجيبة .. وقال :

– مازال منظارى المعظم الحربى معى .. إننى أوثره على هذا المنظار العادى الذى يباع فى بلوفرونت .. هل تعرف أن إيراد الأسبوع الماضى بلغ أثنين وعشرين ألف وستة وخمسين دولارا ..وذلك بخلاف القطع النقدية أثنان وعشرون الف دولار ! ..

واستعاد دى باج منظاره وراح يتابع المنظر أمامه من جديد ..كان المدير قد فرغ فى ذلك الوقت من إحصاء النقود .. وراه يضع الأوراق المالية فى أكياس صغيرة من تلك التى تستخدمها البنوك ثم تودعها الخزانة

– وأظنك لاحظت أن نافذة السطح تطل على المكتب مباشرة وأن زجاجها سميك غير قابل للكسر ، ولا يتأثر بالحرارة قائم شبكة من الفولاذ المسقى .

بدأ مستر دى باج يقول :

– ولكن يا مستر وينج

– دكتور وينج من فضلك .

– دكتور وينج .. هل تدرك أن قولك هذا يدل على أنك تواجه مشروعاً للسطو عن طريق الكسر ؟.

– سوف يقتصر الكسر على النافذة إذا استطعنا أن نجد طريقة لفتح الخزانة .

وللقدر تصاريف عجيبة ، فما أن كشف دى باج عن الميل الذى يغلى فى صدر كارميكايل إلى السرقة ، حتى استبدت به الرغبة التى تتأجج بين ضلوعه هو الآخر ، ولم يعرف أى واحد منهما كيف السبيل إلى فتح الخزانة ولم يكن هناك أى شك فى أن المكان مزود بجهاز إنذار وأنه موضوع تحت مراقبة مستمرة .. صفوة القول أدركا أن سرقة كهذه لم يكن فى الامكان أن يرتكبها إلا رجل محترف ، ولكن محطمى الخزانات لا نقابة لهم ثم إن أسماءهم غير مدونة فى دفتر التليفونات فما العمل ؟.

وتذكر دى باج عندئذ أنه سبق أن قدم العابه فى سجن سان كيتان بالمجان ، وتذكر رجلا يدعى ويللى أيفرس ، وهو لص عمل وسيطا له فى ذلك الوقت فى أعمال التنجيم ، واتصل دى باج بالسجن المذكور ، وعلم أن أيفرس أخلى سبيله منذ نحو ثمانية أشهر بعد أن وفى مدته ، وأنه التحق بعد خروجه من السجن بشركة هوفر لصناعة الأدوات الخفيفة بكالفر سيتى وفى تلك الأثناء كانت فكرة سرقة الخزانة قد أختمرت فى ذهن دى باج ، فارتدى ثيابه البالية ، ثم أكترى سيارة متواضعة مضى بها إلى شركة هوفر

ولم يكن ويللى أيفرس قد تغير فيما عدا سمرة خفيفة أكتسبها فى الفترة التى قضاها خارج السجن ، وكان لا يزال شابا فى عنفوان الشباب وإن كان سليط اللسان عنيد الرأى ، وقد تلقاه دى باج عند مغادرته الشركة

ومضى به إلي مشرب آرتى ، وهو يقع على بعد شارعين من مقر الشركة وأطلعه على الموضوع الذى يشغله ، فنظر ويللى إليه مليا ، ثم سأله قائلا :

- من الذى أرسلك .

أجابة دى باج :

- لم يرسلنى أحد ، ألا تتذكر دى باج العظيم .. إننا عملنا فى إحدى ليالى عيد الميلاد فى سجن سان كينتان .

قال ويللى :

- هذا صحيح ، ولكنك لم تعثر على إلا بعد أن أرشدوك إلى ، فمن الذى أرشدك ؟.. أحد لصوص الخزائن ؟.

- كلا ، وإنما سألت عنك فى السجن ثم أن العمل الذى أريدك من أجله لا يعلم به غير شخصين فقط .. أنا وشريكى .. ونريد أن نتخذك شريكا لنا .

- ولماذا ؟.

لأننا بحاجة إليك ، أننى أحدثك بكل صراحة .

قال أيفرس :

- ولكننى تبت إلى الله

سنقتسم الغنيمة نحن الثلاثة يا ويللى .. وهى غنيمة لا تقل عن عشرين ألف دولار .. ولا يحف بها أى خطر .

قال ويللى :

– منذ أن خرجت من السجن التحقت بعمل شريف ، وقد وعدت جنفييف بأن لا ألمس أية خزانة أبدا .. ثم أنني لا أريد أن أعود إلى السجن من جديد ..

تمتم دى باج :

– جنفييف .. هذا الأسم يدل على أن صاحبته امرأة شرسة .

صاح ويللى :

– أن جنفييف فتاة مثقفة . وسأثبت لك ذلك توا أسمع يا آرتى .

وإذ نظر الساقى إليه مستفهما قال له :

– كأسان آخران من البيرة على أن تأتينا جنفييف بهما فأنني أريد أن أقدم لها شخصية مشهورة كانت جنفييف ، حبيبة ويللى ، جرسونة فى هذا المشرب إذن وأحس دى باج ، بدهشة كبيرة عندما جاءت إلى مائدتهما فقد كانت فتاة ظريفة فعلا وجميلة لها عينان زرقاوان وابتسامة دافئة وشعر ذهبى أملس .

ولو كان لدى دى باج كل ما يريد من موارد لكى يقوم بجولته فى أسبانيا لألقى شباكه على جنفييف ، لكى ترافقه دون غيرها وقال ويللى بعد أن قدم كلا منهما للآخر :

– أنها لا تعمل هنا إلا فى فترة المساء ومهنتها الحقيقية هى التعليم فى مدرسة للأولاد المتخلفين .

قال دى باج :

– هذا نوع من التعليم يحتاج إلى موهبة خاصة أنني أهنئك يا آنسة .

أنبسطت أسارير ويللى وقال :

- ستحاول جنفييف أن تتم تعليمى بعد أن نتزوج ،وأراهن أننى سأكون أكثر تلاميذها تخلفا .

قالت جنفييف :

- أسكت يا ويللى ، لماذا تنطق بهذا القول أن لك عقلا متألقا .

لاريب أنه متألق كقطعة النقود الجديدة إذن لأننى لم أستخدمه أبدا .

عبست جنفييف دليلا على أنها لم تستطب الدعابة التى نطق بها خطيبها كان كل ما فيها يدل على أنها مفتونة بصاحبها .. وقال دى باج يحدث نفسه

- لعلها غريزة الأمومة .. فأن بعض الفتيات هكذا .. يجتذبهن بعض الأشياء ويحسبن أن فى مقدورهن إعادة الأعتبار إليهم .

وتساءل اذا كان ويللى يستحق ذلك ، وعندما عادت جنفييف إلي البار وهى تتمايل وتتثنى كاشفة بذلك عن مفاتنها قال دى باج :

- حسنا ياعزيزى ، هذه هى الحياة (وأردف يقول وهو يتنهد) :

- وأننى أفهم سبب تويتك الآن بعد أن رأيت جنفييف ..

- أنها فتاة طيبة حقا ، أليس كذلك ؟..

وكانت جنفييف تقف الآن خلف البار أمام عدد من الرواد والمعجبين يداعبونها ويمازحونها وكان ويللى يبدو واثقا من نفسه لكى يدعها هكذا .

وسأله المنوم :

- ومتى الزواج ؟.

– بمجرد أن أجمع خمسمائة دولار لقد جمعت جنفييف مائة ولكنها تريد أن نبدأ على قدم المساواة وقد أقتصدت ثلاثمائة وعشرين دولار منذ أن خرجت من السجن ، أى منذ ثمانية عشر شهرا –

قال دى باج :

– هذا عظيم إذا أستمررت على هذا فسيكون فى مقدوركما الزواج بعد عشرين شهرا ، إننى أهنئك مرة أخرى ..

وأبعد كأسه ونهض .. كان قد زرع الحب فى أرض خصبة ، وأحس بنظرة ويللى القلقة وهو يردد كصدى بعيد :

– عشرون شهرا !

قال دى باج :

– ويمعنى آخر سنة وثمانية شهور .

ونظرإلى الشبان الذين يغازلون جنفييف وقال وهو يبتسم :

– وأرجو أن تنتظرك جنفييف كل هذه المدة .

بعد ثمانى وأربعين ساعة بالضبط ذهب ويللى للقاء دى باج فى مكتبه عقب مغادرته لعمله ، وقبل أن يمضى إلى بيته ، وكان لا يزال مرتديا ثياب العمل ويمسك فى يده المخلاة التى يضع فيها طعامه ..

وقال :

– إننى لا أستطيع أن أنتظر عشرين شهرا ، إنها مدة طويلة وقد فكرت فى الأمر .. أنها نفس المدة التى قضيتها فى السجن ..

ويبدو كأنك تقضى بين قضيان السجن نفس المدة من جديد .

– تماما .. وقد أقلقنى هذا ، إننى لست من حديد ، ولا أظن أننى أستطيع احتمال رؤية جنفييف كل يوم .

– وحولها تلك الطغمة من الناس .

– وهو ذلك يا دى باج .. أين تلك الخزانة التى تتكلم عنها ؟.

أخرج دى باج المنظار المعظم من درج مكتبه وناوله لويللى ثم أشار إلى النافذة التى أمامه ، وتنازل له عن المقعد الوحيد الذى أمام مكتبه وكان الوقت لا يزال نهارا ولكن النور مضاء فى غرفة مدير بلوفرونت ، وبعد لحظات خفض ويللى المنظار وقال :

– إنها خزانة عادية ومن السهل فتحها ، وقد تمرنت على فتح مثيلاتها عندما بدأت السطو على الخزانات .

ولكن كيف أدخل المكان ؟.

– من نافذة السطح ، ستدليك منها إلى المكتب بحبل متين ، وسيقوم وينج بالمراقبة حتى لا تفاجئنا داورية الليل ، وقد عرفنا موعد مرورها طوال الأسبوع الماضى .

قال ويللى :

– هذا حسن ولكن يجب أن تعدنى أن لا تعرف جنفييف شيئا من ذلك فقد وعدتها بأننى لن أعود إلى مثل هذا العمل .

– لن يعرف أحد شيئا ، سوف ينسبون السرقة إلى عصابة من المجرمين ، وعليك أن تحاول أن تبدو السرقة كأنها من عمل محترف ..

راح ويللى يحرك أصابعه كما لو كان يكسبها مرونة وليونة وقال :

- إن أصابعي ثقيلة .. لو أستطيع أن أتمرن قليلا .

وشاعت الصدفة أن يكون لدى دى باج خزانة صغيرة بين المتروكات التى استغنى عنها ولم يعد يستخدمها وكانت من نفس نوع خزانة بلوفرونت وكانت موجودة فى آخر غرفة مع غيرها من المتروكات ، ولم يكن بها شئ غير طبقه من الغبار ، ورافق دى باج صاحبه إلى حيث توجد لكى يمرن أصابعه عليها ، وأدار اللص التائب لوحة الأرقام ، وبعد بضعة دورات عرف رقمها السرى ، وعادت اليه ثقته بذكائه وقال :

- أننى لم أفقد موهبتى .. مازلت كما كنت من قبل أنظر أننى أستطيع أن أفتحها فى ثلاثين ثانية .

وأخذ اللوحة بين يديه ، وصعق فقد مرت ثلاثون ثانية ولم يستطيع أن يحرك عضلة واحدة من أصابعه وسأله دى باج :

- ألم تنفتح ؟ ماذا بك ؟..

- لا أدرى .. لا أستطيع أن أحرك أصابعى .

- ماذا ؟.. أهى متشنجه ؟.

- كلا ، كلا كل ما فى الأمر أنني لا أستطيع تحريكها .

ورمى ويللى المنوم بنظرة تفيض باليأس ، وتساءل دى باج فى شك هل هى حيلة أو خدعة لكى يطالب بحصة أكبر من الغنيمة ، ولكن عينيه التقتا بعينى ويللى فقال يحدث نفسه :

- كلا أنه يعانى من شلل جزئى حقا ، ونهض ويللى وأشعل سيجارة وبعد بضع دقائق قام بمحاولة أخرى لفتح الخزانة ، ولكن أصابعه لم تطاوعه من

جديد ، وجثا أمام الخزانة الحديدية ، وراح ينظر إلى القفل فى غباء ، ودخل كارميكايل وينج فى هذه اللحظة فأطلعه دى باج على الموقف فقال وينج :

– ذلك انه لا يريد أن يفتح الخزانة .

فصاح ويللى

– كلا أنك لا تفهم .. أننى أريد أن أفتحها طبعا ، وألا ماأتيت على الرغم من الوعد الذى أعطيته لجنفييف بأن لا أشترك فى آية سرقة .

صاح وينج :

– هذه هى نقطة الضعف فيه أذن .. أن عجزه يرجع إلى سبب نفسانى ليس فى نيته أن يفتح الخزانة حقا لأنه يخشى إن هو فتحها أن يفقد خطيبته .

ولم يدرك ويللى ماذا يعنى وينج بالسبب النفسانى ، ولكن وثبت إلى ذهنه حقيقتان ، أولاهما أنه لن يستطيع أن يتزوج جنفييف قبل أن يحصل على الف دولار ، وثانيهما أنه لن يستطيع الانتظار أكثر من سنة ونصف .. ومرة أخرى عالج الخزانة ، ولكن أصابعه توترت تماما ، ولم يستطيع أن يحركهما .

وأمره دى باج قائلا :

– اذهب واسترخ يا ويللى .. اجلس فى مقعدى واسترخ فيه تماما حسنا أضطجع إلى الخلف وأغمض عينيك واسترخ تماما .. أنك بين أصدقاء ولا تتعرض لأى خطر .. أنت ويللى أيفرس أبرع لص فى العالم ولم يستعص عليك أى قفل أبدا ، وما كان فى مقدورهم القاء القبض عليك لو لم

يشى بك أحد المرشدين ..

قال ويللى وهو يتمايل على أبواب النوم :

- هذا صحيح .. ولكن كيف عرفت ذلك ؟ ذلك لأنني أعرفك أكثر مما تعرف أنت نفسك إنك لص قدير . ولك أعصاب من فولاذ ، ولكنك تفتقر إلى الثقة بنفسك ، والآن أصغ إلى يا ويللى ..

أصغ إلي ، سأكشف لك عما فى هذه الخزانة ، أن فيها دوطة جنفييف ، الف دولار ، وهى لك ولكي تبرهن على أنك تستحق زوجتك المقبلة . يجب أن تفتح الخزانة ، وأن تعرف الرقم السرى ، وعندما أفرقع بأصبعى ستنهض من مكانك وتفتح الخزانة على الفور ..

وفرقع المنوم بأصبعه .

هب ويللى واقفا على قدميه وهو مستغرق فى النوم ، ومشى قدما إلى الخزانة وفتحها على الفور .

وصاح كارميكايل وينج :

- مدهش يادى باج .. أنت عبقرى حقا ..

قال المنوم :

- إنما هى ضربة حظ ، ومن حسن حظنا أن الشاب كان فى قرارة نفسه راضيا بفتح الخزانة ، ولو أن ضميره كان يمنعه من فتحها لعدنا إلى نقطة البداية ..

ثم تحول إلى الوسيط وقال له :

- والآن ، أغلق الخزانة .. سنقوم بتجربة أخرى .

كان الإيحاء المغناطيسى نفسه هو الذى أعاد إلى ويللى أيفرس مقدرته وموهبته ، فقد فتح الخزانة مرتين بكل سهولة وإذ رأى دي باج ذلك أيقظه من نومه المغناطيسى .

وفى صباح يوم السبت أى قبل الموعد المحدد للسرقة بيوم واحد اجتمع الشركاء الثلاثة للقيام بالتجربة الأخيرة وكان دى باج .

قد عثر في حقيبة أدواته على رزمة من الأوراق المزيفة كان يستخدمها فى ألعابه السحرية فوق خشبة المسرح فوضعها فى الخزانة ..

ثم مضى فاشترى حقيبة جلدية وكان المفروض أن يأتي ويللى بأدواته التى يستخدمها فى السرقة ليستعين بها اذا ما أستعصت خزانة بلوفورنت على أصابعه السحرية ، وكان بين هذه الأدوات عتلة متينة ليستخدمها فى فتح النافذة ، وكان كارميكايل وينج من ناحيته قد أتى بحبل متين طوله نحو عشرة أمتار لكى يتدلى ويللى بواسطته إلى الغرفة ..

وقال دى باج بعد أن أجلس ويللى فى مقعده الخاص :

– ويللى ، هذه هى آخر تجربة ، سنقوم على العمل غدا مساء ويجب أن تقوم بهذه التجربة الأخيرة على أكمل وجه ، سيقوم كل منا بدوره مدفوعا بدوافعه الخاصة ، فأنت يا ويللى بحاجة إلى المال لكى تتزوج جنفييف والدكتور وينج ، طبيب الأسنان بحاجة إليه لكى يحصل على الرخصة التى تخوله مزاولة مهنته .. وأنا بحاجة إليه لكى (وتغلب على قشعريرة قبل أن يستمر) ، أهرب من بين هذه الجدران المتصدعه ..

هيا يا ويللى اجلس فى هذا المقعد واسترخ تماماً هكذا .. هكذا وعندما أفرقع بأصابعى تأخذ هذه الحقيبة وتذهب رأسا إلى الخزانة فتفتح بابها

الحديدى وتأخذ ما بها من أموال ثم تغلقها وتعود إلى .. عليك أن تنفذ تعليماتى هذه حرفيا ، عندما أفرقع بأصابعى ، ولتنس كل شئ بعد أن تفرغ من عملك وفرقع دى باج بأصبعه ..

وعلى الفور نهض ويللى من مقعده وأخذ الحقيبة ومضى إلى الخزانة ففتحها وأخذ منها الأوراق المالية المزيفة التى حرص دى باج على أن يضعها فى الخزانة من قبل ، ثم أغلق الباب الحديدى وعاد إلى المنوم وصاح وينج :

– أنه فعلها ..

وأردف دى باج :

– كما لو كان رجلا آليا .

– أنك قلت لى منذ لحظات أنه لن يتذكر شيئا مما أقدم عليه الآن ، فهل هذا صحيح .

– طبعا ، فقد فعل تحت تأثير الإيحاء المغناطيسى ..

– ولكن اذا لم يتذكر مساء غد أنه سرق فأننا .. قال دى باج فى عزم :

– ويللي أننا لم نعد بحاجة إلى هذه الأوراق التى تشبه الأوراق النقدية ولا أريد أن يعثر عليها رجال البوليس عندى إذا خطر لهم أن يأتوا لاستجوابى يوم الأثنين ، هناك مدق يستخدم فى حرق القمامة فى آخر الزقاق فأذهب والق فيه بهذه الأوراق ..

وابتعد ويللى تحت التنويم المغناطيسى دون أن ينبس بكلمة ، وما ان خرج حتى التفت الأستاذ إلى الدكتور وينج وقال يرد على سؤاله :

– الواقع أن ويللى لن يتذكر شيئا ، وفى هذه النقطة بالذات تكمن الخدعة التى ستكون فى صالحنا .. الايحاء المغناطيسى .. أن ويللي لن يتذكر شيئا عن السرقة ولن يستطيع أن يشى بنا، ولكننى رجل كريم وفى نيتى أن أرسل إليه بعد الفراغ من العملية حوالة بريدية بألف دولار لكى يستعين بها على الزواج من جنفييف.وهو وإن لم يعرف مصدرها فسيعرف كيف يفيد منها ..

وعندما عاد ويللى بالحقيبة فارغة رده دى باج إلى حالته الطبيعية وراح إيفرس ينظر حوله فى غموض ، كما لو كان فى شبه غيبوبة لا يدرى ما الذى حدث له ، وأعطاه دى باج تعليمات جديدة بخصوص خزانة بلوفرونت ، ثم عرض عليه بعد ذلك أن يوصله إلى بيته بسيارته ، ولكنهما دارا بالبيت أولا وتوقفا أمام المرمد ..

وقال دى باج :

– تذكر ما سأقوله لك الآن يا ويللى ، سنقف السيارة هنا غدا مساء والداورية تمر فى العادة فى تمام الساعة التاسعة ، وبهذا تجد أمامنا ستين دقيقة لتنفيذ العملية وسيقوم الدكتور ويلنج بالمراقبة فى الخارج أمام العمارة ، سنفتح النافذة ، وسأساعدك فى الهبوط داخل المكتب بواسطة الحبل ، وما أن تجمع النقود حتى أرفعك إلى السطح ، وبعد ذلك يمضى كل منا من ناحيته ، وستأخذ أنت الحقيبة لكى تضعها فى السيارة ، وفى نحو الساعة العاشرة نلتقى نحن الثلاثة فى مكتبى ..

وبدا أن ويللي قد استوعب كل هذه التعليمات ومع ذلك فقد حدث شئ فى نفس اللحظة التى أوقف فيها دى باج السيارة أمام بيت ويللى ، فقد

انتظرت جنفييف خطيبها فى المكان الذى واعدها فيه على اللقاء عبثا وجاءت تترقب عودته أمام باب بيته ، وبادرته تقول فى جزع :

– ويللى .. لماذا تخلفت عن موعدك لى ..ألم تعدنى ..

أسرع دى باج يقول :

– لقد قام ويللى ببعض الإصلاحات فى مكتبى وهى اصلاحات لم يكن فى الإستطاعة تنفيذها أثناء أوقات الأستشارة ، وسنفرغ منها غدا مساء ، لا تنس يا ويللى ، الساعة الثامنة تماما .

وترك دى باج لويللي مهمة تهدئة جنفييف وعاد إلى بيته وكرس بقية ليلته فى ابتداع الأعيب جديدة من شأنها أن يفتن بها شعب أسبانيا .

وفى الساعة الثامنة من مساء اليوم التالى أقبل ويللى والدكتور وينج إلى مكتب دى باج ، وكان مدير بلوفرونت يضع فى الخزانة إيراد آخر الأسبوع وكان إيرادا ضخما على غير العادة ، وأسرع دى باج ونوم ويللى تنويما مغناطيسيا ثم أعاد على سمعه المراحل المختلفة للعملية العاجلة وأردف يقول :

– أفعل كما قلت لك أمس تماما ، ثم عد إلى بيتك بعد ذلك ، ونم نوما هادئا ، وغدا تكون نسيت كل شئ عن هذه المسألة .. كل شئ .. والآن (وفرقع بإصبعه) .. هلم بنا ..

وتم كل شئ كما هو متوقع ، وبكل سهولة فأنفتح مصراع النافذة عند أول محاولة بالعتلة وتدلى ويللى بالحبل دون أية صعوبة ومعه حقيبة أدواته ولم يلبث أن أعادها بعد قليل ، إذا أستطاع أن يفتح الخزانة كما لو كان

ساحرا . وعند ملء الحقيبة بالأوراق النقدية شد الحبل فرفعه دى باج إلي السطح ، وهناك استعاد اللص حقيبة أدواته وقال له المنوم

- قضى الأمر ياويللى . وعليك الآن أن تتبع تعليمات الأمس بكل دقة ان السيارة موجودة في الزقاق .

وابتلع الظلام ويللى فى حين أعاد دى باج اغلاق النافذة بدون أى صوت ثم جمع الحبل ، وأسرع يهبط من فوق السطح ، وعندما بلغ الرصيف لحق بوينج ومضى معه إلي السيارة ، وكانت فى أنتظارهما فى الزقاق ، وكان ويللى قد اتبع التعليمات التى صدرت إليه ، فقد كانت الحقيبة موضوعة على المقعد الأمامى . وجلس دى باج أمام مقعد القيادة وأدار المفتاح ، وكانت ساعة السيارة تشير إلى الثامنة والدقيقة الخمسين ، أى قبل موعد مرور الداورية للمرة الثانية بعشر دقائق وجلس الدكتور وينج بجواره ، وأخذ الحقيبة فوق ركبته وفتحها ، وماكاد يفعل حتى صاح

- دى باج .. إنها فارغة .. فارغة تماما ..

وكان كارميكايل وينج صادقا فلم يكن بالحقيبة شئ ، ولا حتى ذرة من الغبار ..

وقال طبيب الأسنان فى جزع كما لو أصيب بضربة شديدة على أم رأسه

- ما الذى حدث ؟.. أنك قلت لويللى ، وهو واقع تحت تأثير التنويم المغناطيسى أن يفعل كما فعل بالأمس بكل دقة ..

وأمسك وينج عن الكلام وراح يتشمم الهواء ، ولم يلبث أن قال فى صوت يائس

– دى باج .. ألا تشم رائحة دخان ..

وركضا نحو المدق كانت ألسنة النار تندلع منه وترقص فى مرح فوق كومه من الأوراق المالية .. ورأى دى باج فى وضوح وفى جزع ورقة من فئة الخمسين دولار تلتهمها النار وتصير رمادا فى لحظة واحدة ، وأتى عندئذ بمحاولة يائسة فحاول الأمساك برزمة من الأوراق المالية من فئة العشرين دولار ولكنه لم يفلح إلا فى إصابة أصابعه بحروق .

وقال وينج متهكما :

– عليك أن تتبع تعليمات الأمس بكل دقة ..أنه نفذ ما قلت له تماما وأحرق الأوراق فى المدق .

وأوشك دى باج أن يبكى أمام المدق ، ولكنه رأى كشافات الداورية الليلية ترسل نورها فى الزقاق فأسرع وأرتد هو وزميله إلى السيارة ، ولم يكن بمقدورهما أن يفعلا شيئا فيما عدا مغادرة المكان تاركين المدق يقوم بمهمته فى حريق العشرين ألف دولار .

وفى غرفته كان ويللى يحصي إيراد بلوفورنت فإذا به ستة وعشرين ألف دولار ويزيد ، ووضع الأوراق المالية فى حقيبة أدواتة فى ترتيب بعد أن أستقطع منها ألف دولار لكي يضعها فى حسابه فى البنك قبل أن يبتاع خاتم الزواج ، أما باقى الغنيمة فقد عزم علي أن يودعه أحدى الخزانات الخاصة بأحد البنوك فأن الرجل الحاذق يحسن به وحين يقدم على الزواج أن يضع مبلغا من المال جانبا فقد ينفعه فى يوم من الأيام ..

ووضع ويللى الحقيبة فى الدولاب ثم نظر إلى صورته فى المرآة وقال مقلدا صوت دى باج :

– استرخ يا ويللى ، استرخ تماما إلي أن تصبح تحت سيطرتى ..
وأطلق ويللى ضحكة كبيرة ثم قال :

– أعترف أن التنويم قد أفادنى فى بادئ الأمر فإن أصابعى كانت قد فقدت ليونتها ، ولكنني كنت أمكر منك يا دى باج ، فإنك زعمت أنه لا يوجد فى الخزانة غير ألف دولار ، ولكن لماذا أبيت أن تعطينى نصيبى كاملا ومقداره الثلث .. ثم أنك لم تدرك أنك فضحت نفسك لأنتى لم أكن بالنسبة لك إلا ذلك اللص الحقير الذى لا يمكن أن يكشف خدعتك .

وعاد يقلد دى باج فقال :

– أفعل ما أقول لك تماما يا ويللى ، أفتح الخزانة وخذ النقود منها وأذهب فاحرقها فى المدق ريثما أتفق مع طبيب الأسنان على الطريقة التى أسلبك بها نصيبك .. ولا تتصنت عند الأبواب على الخصوص ..

وعاد يقول بصوته الطبيعى :

– كنت تود أن لا أدرك خدعتك يا دى باج ، ولكننى لم أحرق الأوراق المزيفة فى المدق وأنما وضعتها فى حقيبة أدواتى ، وعندما تمت السرقة أحرقتها ، لكى تعتقد أننى أخطأت وأحرقت الأوراق الصحيحة .

وبدأ ويللى يحس بالإرهاق فتمطى فوق فراشه وابتسم ابتسامة سانجة لصورة جنفييف الموضوعة فوق الصوان .

ولكن ما العمل إذا جاء دى باج ليستجوبنى بطريقة التنويم المغناطيسى

وأطبق ويللى إيفرس عينيه وقال :

– ليس هناك أى ضرر سأنام الآن نوما عميقا وعندما أستيقظ غدا سأكون نسيت كل شئ .. كل شئ .

السفــــاح

تتبعت فى ذلك اليوم الشديد الحرارة من شهر يولية بضعة آثار غير مثمرة ، وعدت إلى المركز الرئيسى فى وقت متأخر مثبط العزيمة ، كانت الأمور سيئة بالنسبة لى على الرغم من أنني بذلت كل ما أستطيع وازداد انفعالى وتوترى..

كان جهاز التكييف قد تعطل من جديد ، وامتلأت الغرفة الخانقة برائحة السيجار وتوقف بعض الشبان عن الضرب على الاتهم الكاتبة ، وتمتموا ببضع كلمات مرحبين فى شئ من الارتباك .. بل إن أحدهم قال لى (طاب يومك) ، وتردد قبل أن يستطرد (أيها الملازم) ، وعلقت سترتى الرسمية على مسند مقعدى ، وشمرت كمي قميصى المبتل بالعرق ، ونظرت إلى دفتر المذكرات الموضوع فوق مكتبي ، لم أجد به شيئا كالعادة باستثناء بعض المعلومات السلبية وكلمة ترجونى أن أتصل بزوجتى تليفونيا ، وكنت أشعر بالحرج من التحدث إليها ،لأن أبنى جامي سيتدخل وسيسألنى بقوله " كيف لم تتمكن من الاهتداء إلى سر هذه الجرائم حتي الآن يا أبى "..

وقد كان فى مقدورى أن أنكر له ما سبق أن ذكرته لمراسلي الصحف

طوال الأسبوع ، وهو أننى أتوقع أكتشاف هذا السر ما بين لحظة وأخرى ولكن الأولاد ، ولا سيما جامى يعرفون متى تكذب بمجرد أن تفتح فمك واتصلت بمكتب التحقيق القضائى لأعرف إذا كانوا قد ألقوا القبض أخيرا على بعض المجرمين المعرفين بشذوذهم الجنسى ، والذين لم نستجوبهم بعد ، فأجابونى بالنفى واتصلت بميلر لكى أسأله إذا كان قد فرغ من تحرياته وفحصه لسجلات خروج سيارات الأجرة فربما استطاع أحد السائقين من أن يتذكر راكبا مشبوها ذهب به إلى مكان يثير الاهتمام ولكن ميلر لم تكن لديه أية معلومات جديدة واتصلت بعد ذلك لكى أسأل إذا كانت الصور التى أرسلناها رلى مسقط رأس الفتاتين وإلى المحلين اللذين كانتا تعملان بهما ، والمدارس التى اختلفتا إليها قد أسفرت عن شئ .. كلا واتصلت بمولر ، ألم يتحدث مجهول ويذكر معلومات يمكن أن تؤدى إلى نتيجة كلا واتصلت أخيرا بهوبى ألم يكتشف أى أثر وهو يفتش من جديد جميع الفنادق المشبوهة ، كلا .

بقيت جالسا مكانى ، وانا أرزح تحت شعور مخيف بالفشل والغضب الذى لا نتيجة له ، صحيح أننى أواجه قضية عفنة ، فعندما يقدم رجل مجنون على قتل عدة نساء فلابد لك من أن تهتدى إلى أثر مهم خلال أربع وعشرين ساعة ، وإلا فسدت القضية ، ومضت سنوات طويلة قبل أن نهتدى إلى القاتل ، وذلك إذا أهتديت إليه أصلا ، والعادة المتبعة هى أن القاتل لايعرف فريسته ، وأنه لم يلتق بها من قبل بدون شك ، وليست له بها أية علاقة ، فيما عدا ميل مفاجئ مرضى ، وهذا يبعد الآثار والدوافع المعتادة وليست هناك طريقة أخرى لربط مثل هذا القاتل بضحاياه الا الاهتداء إلى شهود عيان .. أواكتشاف أدلة أكيدة يخلفها القاتل وراءه ، ولكن هذا القاتل

بالذات لم يترك وراءه لا قرائن ولا شهودا ، لم يترك وراءه الا أشلاء فريستيه بعد أن مزقهما أربا ، وهما فتاتان فى مقتبل العمر ، جاءتا إلى المدينة بحثا عن حياة أفضل ولكن ساءت بهما العاقبة ، فتاتان من ذلك النوع الذى يتسكع فى الشوارع بحثا عن مغامرة ..

ازداد أحساسى بخيبة الأمل ، فقد كانت هذه أول قضية جنائية لى منذ أن رقيت إلى درجة الملازم ، ولاريب أنها ستكون الأخيرة ، كلا ليس معنى ذلك أنني سأطرد ، أو أن ترقيتى ستلغى ولكنهم سيدفعون بى إلى آخر الممر حيث الكتبة والمخبرين ، وهذا عمل لا يليق بى ..

ودق جرس التليفون ، وقبل أن أرفع السماعة أحسست إحساسا بغيضا بأن الرئيس هو الذى يطلبنى وكان هو فعلا ، وقد قال لى :

– هل لك أن تصعد لحظة يا مكينا ؟.

كان جهاز التكييف يدور فى مكتبه ، ومع ذلك فقد بدا لى المكتب فاسد الهواء ، وكأنه مصيدة للفئران ، والرئيس رجل قوى ونشيط ، وعملى لا يعرف العواطف ، ويطرق الموضوع الذى يشغله مباشرة ، ولم يضيع وقته معى فقد بادرنى بقوله :

– سيكلف رجل آخر بالأهتمام بقضيتك يا ماكينا .

تملكتنى الدهشة ، ومرت بى لحظة لم يسعفنى فيها النطق ، وام أستطع إلا أن أقول أخيراً :

– هذا حسن إلى الملتقى :

وتحولت ومضيت إلى الباب ، ولكنه صاح بى :

- لا تكن أحمق يا ماكينا ، انتظر لحظة واصغ إلى .

توقفت وقلت :

- ليس هناك ما يمكن عمله فقد بذلت جهدى .

لوى الرئيس يديه فى عصبية ، ونظر إلى وعيناه نصف مغمضتين ، وكان بادى الضيق ، وقال :

- أهدأ يا ماكينا وأصغ إلى ، أننى أعلم أنك بذلت كل ما فى وسعك ، على الأقل بالنسبة للبشر الذين يتألف منهم هذا القسم ، ولكن ثمة شئ غريب .. وغامض .. وغير عادى ، وأريد أن تصغى إلى أرجو أن تفهم جيدا يا ماكينا أن مجئ هذا الرجل الآخر ليس بفكرة سيئة ، هى فكرة المدعى العام ، فهو يصر على القاء القبض على المجرم بسرعة وتقديمه للمحاكمة فهذا عمله ، وهو يهتم بحملته الانتخابية ، أما عملنا نحن فهو أن نفعل ما يأمرنا به وأن نتذكر أن المدعى العام هو ابن أخت العمدة ، فهل هذا مفهوم ؟..

أجبت :

- مفهوم .

- ألم تسمع أبداً عن شرطى سابق يدعى ستيف بلاكبورن .

وإذ هززت رأسى استطرد يقول :

- إنك نقلت هنا بعد رحيل بلاكبورن كان ملازما هو الآخر ، فى الغرفة الجنائية ، وقد اضطر ذات يوم أن يهتم بجريمة قتل ثلاث نساء مزقن أربا أربا ، قضية مثل قضيتك هذه تماما يا ماكينا .

وتردد ، وألقى إلى نظرة سريعة .. والواقع أن بلاكبورن يظن أنها نفس القضية القديمة ، وقد أقنع المدعى العام بأن القاتل الأول قد عاد وكرر جرائمة .

لم أنطق بكلمة ، وانتظرت البقية ، وأخيراً قال الرئيس :

– هذه القضية مهمة جدا بالنسبة لبلاكبورن ، فإن القضية الأولى التى أهتم بها وقعت منذ سنة ونصف ولم يلق القبض على القاتل حتى الآن ، ولم يسفر تحقيقه عن شئ وبلاكبورن جد حزين لهذا السبب فقد كانت القضية كالحمى تعصف بكيانه ، ولم يستطع أن يفكر فى شئ آخر..

ومرت الشهور وهو يرفض أن يقوم بأى عمل آخر غير مطاردة هذا المجنون ، وكرس كل وقته بعد ذلك أيضا ، ولكن الرجل اختفى ، ولم يرتكب أية جريمة أخرى وكان بلاكبورن يعرف عنه الكثير ، بحيث نصب له شركا ولكن الرجل لم يقتل أحدا ، وفقد بلاكبورن أثره ، ولم يكف عن قوله

" لو أنه قتل امرأة أخرى فقط لأطبقت يدى عليه " .. وقد أستبدت به هذه الفكرة بحيث لم يستطع احتمال الجزاء ، فراح يشرب واضطر أخيرا إلى التخلى عن مهنته وكل هذا يدعو إلى .

سألته :

– هل كلف بلاكبورن الآن بقضيتنا ؟..

– كلا ، أن المدعى العام يعتبره خبيرا ومهما يكن فهو نفس القاتل وبلاكبورن يعرف عنه أكثر مما نعرف نحن ..

– وأذا لم يكن هو نفس القاتل ؟ إذا كان بلاكبورن قد أستبدت به هذه

الفكرة ، وإذا كان لا يبغى العودة إلى عمله لأثبات شئ حتى يعوض فشله.

عقد الرئيس أصابعه ثم تظاهر بأنه يجد صعوبة فى فكها وقال :

– ليس لنا أن نبحث عن السبب يا ماكينا أنك مازلت مكلفا بالقضية رسميا ، ومهما يكن فأن بلاكبورن ليس من رجال البوليس .

وأخذ نفسا عميقا واستطرد :

– ومن المؤكد أنه على حق ، هل تعرف أين هو الآن ؟.. إنه يقوم بداوريته فى إحدى عربات البوليس فى ساوث مين ، حيث وقعت الجريمتان ومن رأيه أن القاتل يمكن أن يرتكب جريمة أخرى .. هذه الليلة بالذات ..

قلت وقد جف ريقى فجأة :

– الليلة ؟..

– نعم ، يجب أن تستقل سيارة ، وأن تذهب هناك أبحث عن بلاكبورن فى موقف ساوث مين فى الساعة السادسة والنصف .

دخلت سيارة الداورية ، التى لا يميزها عن غيرها شئ ، الموقف فى تمام الساعة السادسة والنصف واقتربت منها ، ولفحت عينى سحابة من الحرارة ممزوجة بالدخان ، وبلاكبورن ذو وجه داكن نحيف ، أشبه بوجه العقاب وقال لى فى عصبية :

– تول أنت قيادة السيارة يا ماكينا هذا أسمك أليس كذلك ؟ .

وأومأت برأسى فترك لى عجلة القيادة قائلا :

– أوثر أن تقود أنت لأنني أريد أن أنظر وأتشمم الهواء .

ونظر عبر شباك السيارة المفتوح وقال :

– أنك مشترك فى الأمر معى الآن يا ماكينا ، فنحن نقوم بدوارية ونشم وجود قاتل ..هذا هو شارعه .. شارع جو . . هل تعرفه ؟..

قلت :– جو ؟..

– أن الشئ الوحيد الذى لم أستطع الاهتداء إليه هو أسمه ولهذا فإننى أدعوه جو .

سألته :

– أين نذهب ؟..

– أنطلق فى ساوث مين فقط .. وعلى مهل .

– إلى أين يجب أن نذهب .

وغادرت الموقف ، وانطلقت خلف السيارات ، وقال بلاكبورن :

– بين رقمى ١ ، ٨ .

كان يرتدى بذلة غامقة وربطة عنق داكنة اللون ، وكان شعره الأسمر الذى بدأ يخف قد وخطه المشيب ، كان فى نحو الأربعين من عمره ، قاسى النظرله بشره ملوحة كالجلد المدبوغ . وظل معظم الوقت ينظر إلى الشارع يتشمم كما يفعل كلب الصيد . وقال لى مرة أخرى :

– أرجو أن لا تكون حاقدا على .

هززت رأسى وقلت له :

– لا أهمية لهذا .

– أن وجودى يغضبك طبعا يا ماكينا ، ولست ألومك ولكن كان لابد من ذلك ..

وخفت صوته وعراه شئ من التوتر وقال :

– لا تقلق ، ستكون المنفعة لك أنت إن جو هو كل ما أريد .

قلت وانا أبذل جهدى :

– هذا هو المهم .. أن نضع أيدينا عليه .. قبل أن يرتكب جريمة قتل أخرى.

قال بلاكبورن فى هدوء :

– كلا ، المهم هو أن لا تطرد من خدمة البوليس لأنك تركت مجرما عاتيا يهرب ، وتوقف لحظة ثم أردف "أنا لست هنا لكى أثبت أى شئ ، ولا لكى أعود إلى خدمة البوليس ، فقد فات الأوان لهذا ، لا أريد أن أفرغ من هذا العمل ، وأن ألقى القبض على جو .. أريد أن أفرغ منه تماما لكى أعود إلى بلادى " .

– وأين تقيم ؟..

– فى سان فرناندو .. أن لدى مزرعة صغيرة وراح ينظر من شباك النافذة ، فى حين أخذت انا أسير فى هدوء بمحاذاة الأفاريز وفجأة أضيئت مصابيح النيون ، وبدأت الحركة تعج فى المطاعم والبارات ودور السينما ، وعاد بلاكبورن يقول :

– لا تقلق يا ماكينا .. مهما يحدث فستقول أنه أنت .. سيبقى هذا بيننا تماما .

ومررنا أمام مجموعة أخرى من البيوت ، ولمس بلاكبورن زراعى وقال

– ستكون الليلة قاسية بلا ريب أليست لديك أسئلة قبل أن نبدأ ؟.

فكرت لحظة وقلت :

– كيف عرفت .. أعنى كيف استطعت أن تتأكد أننا أمام نفس القاتل .

جمعت كل المقالات التى كتبتها عنه الجرائد ، وأسرعت إلى المعمل وتحققت من جميع التفاصيل كان كل شئ مطابقا تماما حتى الصور .

وكتم بلاكبورن ضحكة قصيرة ، وتساءل ماذا يجد فى قوله هذا من غرابة واستطرد :

– إن الجمهور يحب الدم ،ولكن أقذر الجرائد لا يهمها إلا الإثارة ما كان يجب أن تنشر مثل هذه الصور ..

قلت فى محاولة لمواصلة الحديث :

– هذا صحيح كنت أحتفظ بذكرى بغيضة عن تلك الغرف الرخيصة الحقيرة التي ارتكب فيها جو جرائمة ، وكنت اعتدت على هذه الغرف عندما كنت أقوم بداوريتى فى بلاك ماريا ، ولكن هاتين الغرفتين الدامتين كان لهما منظر فج جدا بالنسبة لى ومجرد ذكراهما تجعلنى أشعر بالغثيان .

وعاد بلاكبورن يقول :

– أرأيت إلى زجاجات الخمر مثلا .. أنك وجدت زجاجاتين فارغتين فى كل مرة .. حسنا هكذا كان الأمر دائما فى الجرائم التى وقعت فى عهدى ، فقد كان فى كل منها زجاجتان من نفس نوع الخمر ، وقد احتاج القاتل فى كل مرة إلى نحو عشر ساعات لكى يمزق فريسته ، وفى كل مرة كان يغلق

الغرفة على نفسه ، ويعمل بخنجره في جسد فريسته ، وهو يعب الخمر عبا وفى الجريمتين اللتين وقعتا أخيرا كانت هناك نفس الزجاجات الفارغة ، أليس كذلك ؟.

- نعم .

- ألم يثبت التشريح أن الجريمة فى كل مرة استغرقت نحو عشر ساعات ؟.

- تقريبا .

بدت عينا بلاكبورن أكثر تألقا الآن ، ونم صوته عن مدى أنفعاله ، وكانت الليلة ساخنة جدا ، ومع ذلك فقد سرت الرعشة فى كيانى ، وأردف يقول :

- والخمر من نفس النوع .. ماركة كنج ؟.

- تماما .

إننى أعرف يا ماكينا وكل جريمة من هذه الجرائم تشبه الأخرى كل التفاصيل واحدة ، فأن الجريمة بالنسبة لهؤلاء المجانين تصبح شيئا مألوفا رتيبا .. وقد قرأت كل ما كتب عن هذه الجرائم .. أنها جزء من دورة تتكرر أكثر من مرة ، وكل شئ فى كل دورة يجب أن يكون مشابها لما وقع فى الدورة السابقة ، والمدة بين كل دورة وأخرى تطول حسب أحوال كل مجرم وظروفه ، ولكن لا يلبث أن يعاوده الضغط ، وينتهى به الأمر إلى التصرف هو عمل رتيب يا ماكينا ، وكل واحدة من هذه الفتيات مجرد مثل حى ، وهن يتشابهن كلهن بالنسبة لجو ، فهن دائما من نفس السن ، وكل ما يفعله جو قبل الجريمة وأثناءها ماهو الا تكرار دقيق ، هذا هو السبب فى أننى أعرف

ولكن كيف تستطيع أن تعرف أنه سيقتل ثانية ؟.. وهنا بالذات وهذه الليلة ؟.

– لابد له من ثلاث ضحايا .. دائما ثلاث .. ولكننى كنت أجهل هذه النقطة ، وقد أعددت له كمينا وانتظرت ، ولكن العدد كان قد أكتمل فلزم الهدوء وقد عرفت الآن أن العدد هو ثلاثة ، كما عرفت المدة الفاصلة بين كل جريمة وأخرى ، وقد عاد وارتكب حتى الآن جريمتين ولابد له أن يرتكب جريمة ثالثة ، وطبقا للمدة التى تقع بين كل جريمة وأخرى فلابد أن تقع هذه الجريمة الليلة .

– هل كنت واثقا أنه سيبدأ من جديد .

– ما كان فى مقدور أحد أن يتأكد من ذلك ، ولكننى شككت فى أنه سيعود إلى ارتكاب جرائمه إذا وجد الفرصة ، هناك أشياء كثيرة تدور فى عقول المجانين فاذا ما هدأ جنونهم أخلدوا إلى الهدوء .. إن شخصيتهم مزدوجة ، فباستطاعتهم أن يحظوا باحترام الناس تماما ، وفى مقدورهم الاضطلاع بالأعباء العائلية ، وأذا ما أحسوا بذلك الضغط الذى يبعثه فيهم ذلك الجنون يذهبون إلى مكان آخر ، وفى العادة إلى نفس المكان السابق ، أو بجواره تقريبا ، ويتخلصون من ذلك الضغط بالقتل ، ثم يعودون إلى بيوتهم ، ويغدون مواطنين شرفاء حتى يعيدون الكرة من جديد ، ويعاودهم هذا الضغط فى فترات منتظمة وعلى نسق منظم ولهذا خطر لى أنه إذا ما بدأ من جديد فسوف يعاود نشاطه هنا .

وارتفع صوته وهو يقول :

– وقد انتظرت وانتظرت يا ماكينا ، وأصررت عند المدعى العام لكى

يترك لى فرصة أخيرة لألقى القبض على ذلك المجرم ، وكان لابد لى من إقناعه ، فهل تظن أنني كنت أترك مثل هذه الفرصة تمر ؟

أجبت :

– كلا ..

– قف هنا ، خلف هذه السيارة .

وهبطنا وأخذ بلاكبورن نفسا طويلا كما لو كان يجد نشوة فى استنشاق رائحة ساوث مين ، تلك الرائحة الحامضة غير الصحية لشارع متروك لفجور يوم سبت ليل خانق ، وقال بلاكبورن :

– هلم بنا نمشى قليلا يا ماكينا .

ورحنا نتسكع أمام أبواب قاتمة فوقها لافتات رخيصة مكتوب عليها هذه الكلمات "غرف تبدأ من دولار ونصف" وكانت الأبواب تقريبا تؤدى إلى حانات قليلة الضوء بموسيقى عالية يصل صوتها إلى الشارع ، وفتيات يجلسن على مقاعد مرتفعة يحدقن فى الظلام كما تفعل البومة الجائعة .

وتابعنا سيرنا تحت أضواء النيون الساطعة التى تصيب المرء بالدوار وأمام أبواب المراقص المتلألئة وفجأة دوت السرينات ، ورأينا امرأة تصرخ يجرها شرطيان من أحد الأبواب ، وكان هناك رجل ذو لحية حافى القدمين جالس على حافة الرصيف فراح يضحك فى هدوء أمام هذا المنظر كان الجو مشبعا بروائح الفلفل والبيرة والخمر .

ثم أصبح الجو رطبا ، وسقط ضباب خفيف على مصابيح النيون وأخذنى بلاكبورن إلى جنوب هذا الحى الموبوء ، بعيدا عن بيوت اللهو .

وتوقف مرة واحدة وحدق فى الضباب دون أن يتكلم ورفعت رأسى وأدركت وفى بدنى رعشة أننا نقف أمام أحد الفنادق المشبوهة الذى وقعت فيه الجريمة الثانية التى أقوم بالتحقيق فيها وقال :

– أرأيت ؟.. يوجد دائما محل لبيع الخمور على مقربة ، تعال يا ماكينا جب أن نتحقق من الأمر فليس أمامنا غير بضع ساعات .

وألفينا نفسينا أمام دار رخيصة للسينما مفتوحة طوال الليل ، وتلفت النظر إليها باعلان كبير عن أفلام الرعب التي تعرضها ، وكان الأعلان عبارة عن قطع كبيرة من الكرتون مقصوصة على هيئة بعض الوحوش الأدمية ، يحمل كل منهم بين ذراعية امرأة تكاد تكون عارية وفمها مصبوغ باللون الأحمر ، وقد فغرته عن صرخة صامتة ، وكان يبدو كأن هؤلاء العمالقة يغمزون بأعينهم للمارة ، ويقدمون لهم هذه الفتيات التى تصرخ وكان بعض هؤلاء المارة يتمنون فى قرارة أنفسهم لو أنهم استطاعوا قبول هذه الهدايا .

وتكلم بلاكبورن فقال فى صوت خافت بدا كما لو كان همسا :

– انظر يا ماكينا .. سوف تتأثر بالجو ، وتشعر به .. أعنى بجو .. أرأيت أى هذه الوحوش الآدمية وفتياتهم .. أنهم يتشابهون جميعا من ناحية تماما كجو ، وكل فيلم أنما هو جريمة تجرى على نسق واحد يمكن أن يقوم بها شخص بالنيابة .

قلت :

– لاريب أنك فكرت كثيرا فى كل هذا ؟..

أجاب :

– فكرت فيه طوال سنوات ، هل هناك فرق كبير بيننا وبين جو ، ليس هناك فرق إلا فى المرتبة يا ماكينا ، أن كل من ينظر إلى هذا الفيلم يحس بما يحس به جو ، قليلا وليس من العسير أن نفهم ما يولده هذا الضغط فيه يمكنك أن تحس به كما أحس أنا به وكما سيحس به كل شخص إذا أراد وبهذه الطريقة نستطيع أن نلقى القبض على أشخاص مثل جو ، يجب أن نحس بما يحس به بقدر المستطاع .وسأهتدى إلى جو لأننى فكرت ولاحظت ، ولأنه فى مقدورى أن أفعل مثله ، أعنى أننى أعلم بما فيه الكفاية عما يدفعه إلى أرتكاب جرائمه .

قلت على الفور :

– أننى أفهم .

– حسنا .. حسنا جدا .. يسرنى أنك فهمت لأنه لابد من ذلك لكى نصل إلى الهدف ..

– أننى أفهم الآن .

واصطدم بنا سكير ، فدفعه بلاكبورن فى اشمئزاز ، وكانت الدفعة من القوة بحيث وقع الرجل أرضا .

ورحنا ننظر إلى الرجال القرود والوحوش الأدمية التى تسئ معاملة الفتيات اللاتى يعرضن فى صمت وكان هناك أناس يتقدمون ويتوقفون أحيانا للنظر ، وكان بعضهم يطيل الوقوف أمام هذه اللافتات ، وهم يبللون شفاههم وخطر لى أن أيا من هؤلاء الرجال يمكن أن يكون جو .

وأخرج بلاكبورن بعض النقود من جيبه ، وسار إلى شباك التذاكر

وأمسكته من ذراعه فالتفت إلى فى بطء ونظر إلى لحظة كأنه لم يسبق له أن رآنى قبل ذلك ، وسألته :

– ماذا تفعل الآن ؟

– سنرى هذه الأفلام .. فهنا يبدأ كل شئ .

– ولكننى رأيت هذه الأفلام منذ سنوات .

– ليس بالطريقة التى سنراها بها الليلة يا ماكينا ، سنجتاز الخطوة الأولى .. وسكت ، ومسح فمه بظهر يده .. أن جو يأتى هنا دائما .. قبل أن يقتل .. نظرت إليه مصعوقا وقلت :

– كيف عرفت هذا ؟.

– بسبب التذاكر .. ألم تجد تذاكر أنت أيضا ..لابد أنه كانت هناك بعض هذه التذاكر فى الغرف .. تذاكر لهذه السينما بالذات .

أحسست بقطرة من العرق تنساب على وجهى وقلت :

– نعم هذا صحيح ، ولكن قد لا يكون لهذا معنى ، أن هناك مئات من التذاكر توزع كل ليلة وبائع التذاكر ، والموظف الذى يجمعها من النظارة وذلك الذى يرشدهم إلى أماكنهم يحتمل أن لا يتذكروا شيئا أو أنهم لم يلاحظوا أن هذه التذاكر لا يمكن أن يكون لها تلك الأهمية التى تعلقها عليها .

ابتسم بلاكبورن ابتسامة خفيفة ، بدت تحت أضواء النيون فى الضباب القاتم كخيط معدنى ممدود وقال :

– خمس جرائم وفى كل مرة تذكرة دخول لسينما تعرض أفلام مرعبة فى

الحى . لا يمكن أن تكون هذه مجرد مصادفة . ألا تعتقد ذلك يا ماكيلا؟ والواقع أن كل جريمة من تلك الجرائم قد أرتكبت فى غرفة مؤجرة ببعض الفنادق الموجودة بجوار هذه الدار بالذات .

– وما شأن السنيما بكل هذه الجرائم ؟.

أجابنى بلاكبورن فى هدوء :

– تطبع بطباع جو أنك تستطيع ذلك ، أليس كذلك انس كل شئ آخر ، كما فعلت أنا نفسى وحاول أن تفكر مثله ، أنك جالس فى الظلام وتنظر إلى الأفلام ، وأنت وحدك كما لو كنت مختبئا فى العتمة أمام هذه الصور وتحاول أن تتشبه بالبطل وتبدأ بأن تنفعل ، هذا جزء من الانفعال على غرار رقصات الحرب التى يمارسها الهنود لكى يتحمسوا ويصبحوا فى الحالة الذهنية المطلوبة .. تعال دعنا ندخل بحيث نعيش فى الجو .

ودفع ثمن التذكرتين ودخلنا فى رواق تعبق به رائحة خانقة من النبيذ والدخان والبيرة والعرق .. رائحة الأحياء السفلى فى ليلة حارة ورطبة . وبقينا واقفين لحظة وقد تلاحقت أنفاس بلاكبورن ثم سار إلى الطرقة الرئيسية ونظر وسمعت التذمرات والصيحات الصادرة من الشاشة وتدحرجت زجاجات فارغة في مكان ما ، وكان بعض النظارة يغطون فى نومهم ، وقد اعتمدوا رؤوسهم بأيديهم كان بعض المتسولين بعد أن جمعوا قرشا من هنا وآخر من هناك قد أقبلوا إلى هذه الصالة للنوم وكانوا يعرفون كيف يمنعون رؤوسهم من التأرجح حتى لا يلتفت اليهم المستخدمون أو الشرطة المنوط بهم حراسة السنيما ، فيطردونهم شر طردة ..

قال بلاكبورن :

– إنه يجلس تقريبا فى الصف الخامس ابتداء من الشاشة والمقاعد هناك شاغرة ، وجو يجلس دائما هناك .

– لا يمكنك أن تعرف لا الصف ولا المكان .

– بل أعرف ذلك على وجه التقريب ، فقد درست هذه القضية دارسة وافية مع بعض الفنيين ، وأعرف كذلك طول قامته وعرض كتفيه ولون شعره وقد قمت بكافة التحاليل بحيث أعرف لون بشرته ، فقد عثرنا على أجزاء من لحمه تحت أظافر الفتيات وكذلك .

– ولكن كيف تعرف فى أي مكان من السينما يجلس ؟.

– إحدى ضحاياه كسرت له نظارته يا ماكينا ، وقد عثرنا على قطع من الزجاج المكسور ، لم نتمكن من معرفة النظاراتى الذى صنعها ولكننا فحصنا الزجاج واستطعنا أن نجد مدى ما لديه من قصر النظر ، وكانت نتيجة ذلك أننا عرفنا أين كان يجلس ، ولكن أهم من هذا كله يا ماكينا هو القدرة على الشعور بالأشياء .

وأقترب منا موظف متهدل الكتفين ، له وجه تغطيه البثور ، ويرتدى بدلة ملوثة بالبقع وقال :

– تحدثا بصوت منخفض من فضلكما .

نظر بلاكبورن إليه كما لو كان ينظر إلى رجل من حثالة القوم وقال له :

– إليك عنا يا صاحبى .

رمش الرجل بعينه ، وفتح فمه لكى يتكلم ، ولكنى أسرعت فأخرجت بطاقتى البوليسية وشارتى ، فأرتد إلى الخلف قليلا ولكن بلاكبورن دفعه إلى

الخلف فى قوة قائلا

– من الأوفق أن تدعنا وشأننا ..

ثم نظر إلى ساعته ، ومنها إلى الشاشة وقال :

– إننى تحققت من ساعة العرض ، إن جو يبدأ عمله مع الفتيات فى نحو الساعة الثانية من بعد الظهر ، ويصعد إلى الغرفة بعد السنيما مباشرة وهو قد ذهب بالفتاة قبل ذلك ثم تركها إما ثملة أو فى حالة لا تسمح لها بالفرار ويرى كل فظائع الأفلام التى تعرضها دار السنيما مما يجعله فى حالة ملائمة ، ثم يعود إلى الغرفة ويبدأ عمله بخنجره وهو يجعله فى حالة ملائمة ثم يعود إلى الغرفة ويبدأ عمله بخنجره ، وهو خنجر يستخدم فى صيد سمك القرش ولم أعرف من أين جاء به .

– وكيف عرفت نوع الخنجر .

– إننا حددنا طول وعرض وسمك السلاح وشفرته ، وكذلك قمت بفحص مماثل عن نوع الفولاذ من ذرات وجدناها فى عظام القتيلات ، وتأكدنا من أن الخنجر من النوع الذى يستخدم فى صيد سمك القرش لنجلس ..

وبدأ فيلم آخر ، وأحسست بألم فى عينى لفرط اهتمامى بالشاشة وبسبب الجو المشبع بالدخان ، كانت رائحة الصالة فظيعة جدا ، ولم يسعنى إلا أن أفكر بأننى أتنفس هواء مشبعا بالميكروبات ، وكانت سته من أفلام الرعب قد عرضت ، وكان الجو خانقا ، ومع ذلك فقد أحسست بالرعدة تسرى فى أوصالى .

ولم أستطع أن أميز شيئا ، فقد تشابهت الوحوش ، وكانت ضحاياهم

نساء شبه عاريات يصرخن ويملأن الصالة بالذعر والفزع ويدت الوجوه من حولى شاحبة تتفصد عرقا ، وقد اتسعت العيون وهم يحدقون فى المناظر التى تمر أمامهم .

أظن أن الأنتظار لن يطول كثيرا ، عشرون دقيقة أخرى ، أن الساعة تقترب من الواحدة والنصف ، أنظر جيدا وأنتظر سأعطيك الأشارة بأن أضغط على ذراعك عندئذ .

– وماذا نفعل ؟ هل نلقى القبض عليه ؟.. ولكن .. والمرأة ؟..

– ماذا تعنى ؟.

– أعنى أن جو ، طبقا لنظريتك صعد بالمرأة إلى الغرفة ، وخدرها أو قيدها ، ولاريب أنها تنتظر عودته ، وهو على أتم الاستعداد لذبحها ولكن ماذا يحدث لو أنه قتل ، أو أستطاع الهرب ، أو اذا رفض أن يقول لنا أين توجد المرأة ..

حدق بلاكبورن فىّ وهو ممتقع اللون ، والظاهر أنه لم يكن قد ألقى على نفسه هذا السؤال وقال :

– أوه نعم ، طبعا حسنا عندما يخرج سنتبعه .

وهززت رأسى ، وانتظرت ثانية ثم دخل جو أحسست بلاكبورن على ذراعى ، فحولت عينى دون أن أدير رأسى وتبخر صداعى على الفور لم يكن به أى شئ يميزه عن غيره لم أر لون شعره ولم أدر أنه يلبس نظارة إلا عندما أدار رأسه نحوى ، ولكن خامرنى إحساس بأنه هو جو نفسه ، وربما ذلك لأننى كنت فى حالة نفسية تساعدنى على ذلك الأحساس ، فقد رأيت من

الفظائع ما يكفيني طوال العمر ، وأحسست حقا بأنني في الجو .

ومن طرف العين رأيت جو يجلس إلى يميني ، وكان يفصلني عنه مقعد واحد ، وأضطجع في مقعده إلى الخلف وغاص بركبته في المقعد الذي أمامه ، وتنهد وبعد وقت لا أدري مداه رأيته ينحني إلى الأمام وقد توترت عضلات وجهه ، وكان قد ألقى يديه فوق مسند المقعد الذي أمامه ، وراح يحرك رأسه إلى الأمام وإلى الخلف ، وانعكس نور الشاشة على زجاج نظارته فأخذ يتلألأ .

وكان بلاكبورن قد حسب أنه سينهض خلال دقائق ونغادر الصالة ، وتبعناه حيث دخل محلا قريبا ، وأشترى زجاجتين من الجعه ماركة كينج ، ثم خرج وهو يتأبط الربطة وكان يرتدي معطفا واقيا من المطر كان يحدث حفيفا جافا ، وكانت رأسه الصلعاء تتلألأ مع نظارته .

وظللنا نتبعه حتى أحد هذه الأبواب المكتوب على لافتاتها " غرف ابتداء من دولار ونصف " . وبدأ كأنه يتردد لحظة ثم أندفع في الظلام ، وأحسست بالأنفعال وبطعم كريه في حلقي عندما فتح بلاكبورن الباب بدوره ونظر إلى السلم ، وسمعت أنفاسه السريعة المتلاحقة ، وعندما التفت إلي وابتسم كان في عينيه وميض الكريستال الأسود ، وقلت له :

– ماذا ننتظر ؟.

تمتم يقول وعيناه مازالتا تبرقان :

– لندع له بعض الوقت .

قلت :

– اسمع هناك فتاة فوق ، والله وحده يعلم ماذا يحدث الآن يجب أن

نصعد ..

– أننا لسنا على عجل من أمرنا يا ماكينا ، تذكر أنه لابد أن يشرب الخمر أولا .

– يجب أن يهيئ نفسه .

– إنه فى قبضة يدنا فلنصعد .

– مهلا ، هل تريد إفساد السيناريو ؟.

– ماذا تبغى ؟.. من الذى يهتم بالسيناريو الآن ؟..

قال لنا البواب عندما وصفنا له الرجل أنه ينزل بالغرفة رقم ٣٠٧ ، وتبعت بلاكبورن فى السلم ، وصعد مسرعا ، ثم أبطأ وراح يصعد الدرجات الباقية كما لو كان قد أحس بالإعياء فجأة .

وكانت بسطة الدور الثانى أشبه بالقبر ، وكانت مشبعة برائحة الدسم والمطهر والمسحوق الذى يستخدم ضد الصراصير ، وتوقف بلاكبورن وأنحنى وألصق أذنه بالباب رقم ٣٠٧ .

وسمعت ارتطام كأس ثم زمجرة وتنهيدة وشيئا أشبه بالأنين ، وسال العرق على وجهى ودسست يدى تحت سترتى وأخرجت مسدسا ، ولمست كتف بلاكتبورن ولكنه لم يتحرك .

قلت فى صوت نخفض :

– لندخل ..

ولكنه بقى جامداً متصلب الجسد ، وبدا كأنه لا يتنفس ، وأذنه ما زالت ملتصقة بالباب ، وراح ينظر أمامه .

وفجأة سمعت أصواتا أخرى ، وجمد قلبى عن الحركة وقلت :

- لندخل على الفور .

رفع بلاكبورن يده يهيب بى أن أصمت دون أن ينظر إلى ، وتناهت إلى سمعى نفس الأصوات مرة أخرى وغاصت أصابعى فى ذراع بلاكبورن ، كانت هذه القضية قضيته هو كما يزعم ، ولكنه مع ذلك لم يكن يفعل شيئا غير الإنصات .

همست :

- بلاكبورن !.

لم يتحرك ، اكتفى بالبقاء منحنيا والأصغاء ، وراحت أنفاسه تتلاحق كالصفير فقلت :

- أننى سأدخل .

مد يده ولمس رسغى ،كانت يده باردة ترتعش قليلا ، وقال وهو ينظر إلى متوسلا :

- انتظر لحظة يا ماكينا ، أمنحه بضع دقائق أخرى إنك تفهم لقد مر وقت طويل .

وفجأة فهمت ، واستولى على رعب طاغ ، فهمت ، لا لشئ إلا من رؤية عينيه والبريق الذى يلمع فيهما فقلت :

- إنه سيقتلها .

وتشبث بذراعى وقال فى غلظة :

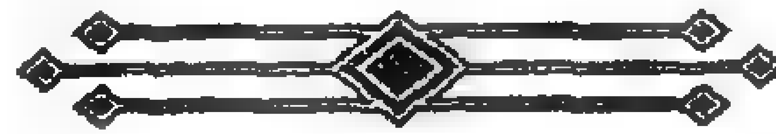
– وماذا يهم ؟ أنك تعرف ما أعنى يا ماكينا ؟ هل تفهم ؟ لماذا نقلق على عاهرة ستنتهى حتما إلى أسوأ نهاية ذات يوم ، فكر لحظة وسوف تفهم ولكنك لا تفهم لأنك لا تحس بالشئ حقا .

وشعرت بأنفاسه على وجهى ، فدفعته عنى وحاولت أن أكسر الباب ولكن بلاكبورن جذبنى إليه بيديه إلى الخلف ، فلطمته على وجهه لكى أتحرر حتى لا أصاب بطعنه من خنجر .

كانت الفتاة ثملة جدا ، ولم تكن تدرى بما يدور حولها ، ومن خلال زجاج النظارات السميكة ألقى إلى جو نظرة غريبة ،كما لو أننى جئت وقطعت عليه استذكار دروسه فى وقت حرج ، ومشى إلى شاهرا خنجره الذى يبلغ طول حده نحو خمسة وعشرين سنتيمترا فأطلقت الرصاص .

وعندما خرجت من الغرفة لكى أهبط بحثا عن عون تركت بلاكبورن جاثيا على ركبتيه وهو يبحث فى أنحاء الغرفة وينادى مكررا :

– جو .. جو .. كما لو كان قد فقد أخاه ..



ذو اللحية الزرقاء

وجدت الملازم وحده فى غرفة الحراسة عندما عدت بعد الغداء ، وكان يعيد سماعة التليفون مكانها ، وقال لى :

لدى عمل صغير لك يا صود ، اذهب إلى عمارة أكشينج لمقابلة الدكتور هربرت مونتتر ، طبيب الأعصاب .

– فى أى موضوع ؟.

– إن لديه مريضة فى مستشفى سانت لوك ويظن أنها ضحية تسمم ، ولا يعتقد مع ذلك أن أحداً أراد أن يقتلها .

– محاولة انتحار ؟..

هز الملازم رأسه وقال :

– أنه متأكد من أن المريضة لم تتناول السم طواعية ، ويعتقد أن شخصا ما قد دسه عليها ، ولكن إذا كان هذا ما حدث حقا فإن الجرعة لم تكن كافية لإحداث الموت ، وأنما تسببت فى مرضها فقط .

– ولماذا يفعل أى شخص ذلك ؟.

– سنذهب لمقابلة الدكتور مونتز لمعرفة السبب كان مكتب الطبيب يقع فى الطابق الثالث من العمارة ، وكان هناك مرضى كثيرون ينتظرون على مقاعد من القطيفة فى غرفة الاستقبال ، وكانت هناك فتاة شقراء تجلس أمام مكتب بجوار المدخل أظهرت لها شارتى وأنا أقول :

– الرقيب صود هاريس ، من البوليس الجنائى طلب الطبيب أن يرى أحد رجال البوليس .

– نعم يا سيدى ، أن معه مريضا الآن ولكنه أصدر أمره بادخالك فورا وسوف تنتظر فى مكتبه ..

ونهضت وفتحت أحد البابين الموجودين بالصالون ، وتبعتها فى ممر طويل حتى مكتب الطبيب ، وكان المكتب شاغرا فأدركت أن الطبيب يفحص مريضا فى أحد الغرف الصغيرة التى مررنا بها .

وأشارت الفتاة إلى مقعد من الجلد أمام المكتب ثم انصرفت .

ومضت عشر دقائق قبل أن يأتى الطبيب ، كان رجلا طويل القامة ، نحيل الجسم فى نحو الخمسين من عمره ينم وجهه عن حيوية كبيرة .

ونهضت ، وشد على يدى فى قوة وقال :

يؤسفنى أننى تركتك تنتظر أيها الرقيب ، أجلس .

وعدت إلي مكانى فى حين جلس هو أمام المكتب وقال :

– أنها مسألة غريبة جدا أيها الرقيب ، وأنا أكاد أكون واثقا أن فى الأمر تسمما ، ولكن إذا كان السم الذى أستخدم هو نفس السم الذى أزعمه ، فانه ليكون أختيارا عجيبا لأرتكاب جريمة قتل لأن هذا السم لا يقتل .

– هذا ما ذكره لي الملازم ، من هي المريضة ؟.

– امرأة تدعى مسز أرلين موشر ، أرسلها إلى منذ أسبوعين طبيب عيون ، فقد كانت تشكو من زغللة في العين ، لم يتمكن من اكتشاف سبب هذه الزغللة فأرسلها إلي ، وعندما جاءتني كانت قد بدأت تشعر بصعوبة في البلع وبدت حركاتها مضطربة .

وحسبت من هذه الأعراض أنها تناولت نوعاً من السموم إذن أوه ، كلا لم يخطر ببالي أبدا وإنما ظننت في بادئ الأمر أنها مصابة بسرطان الدم أو بورم في المخ ، ولكن كان من الجائز أنها تعاني من شئ آخر ، والأمراض العصبية بخلاف ما يعتقد الجميع نادرا ما تكون لها أعراض محدده من السهل تشخيصها على الفور ، ويجب عادة أن تقوم بعدة فحوص طويلة لكي تنتهي إلى التشخيص الأخير بعد استبعاد التشخيصات الأخرى ولهذا أدخلتها المستشفى وبدأت الفحوص .

– واكتشفت عندئذ أنها تعرضت للتسمم .

هز رأسه وقال :

– لا تجعلني أقول ما لم أقله أيها الرقيب .. كل ما هناك أنني اشتبهت في وجود نوع من السم ولكن يتعذر على إثباته .

– علام تقوم شكوكك أذن .

– مرة أخرى على الأعراض ، إن الأعراض التي ظهرت على المريضة يبدو أنها تشير إلى وجود ورم في المخ ، فقد كانت تشكو من الأرق ، ومن رعدة عصبية وضعف الأعصاب واضطراب في شبكة العين ، وكلها أعراض

تدل على وجود الورم ، ومع ذلك فإن تحليل الدم كشف عن شئ غريب ، وهو فقر الكريات البيضاء وضعف الكريات الحمراء ، وهذه الأعراض مضافا إلى غيرها جعلتنى أفكر فى أنها ربما تكون قد تناولت كميات كبيرة من أقراص البروكلور بيرازين ، وهى أقراص من السهل جدا الحصول عليها .

– وما هى هذه الأقراص ؟.

– هى أقراص مسكنة يمكن الحصول عليها من جميع الصيدليات .

نظرت إليه مشدوها وقلت :

– هل تعنى أنه يوجد فى الصيدليات وفى متناول الجميع دواء يمكن أن يتسبب فى كل هذه الأعراض .

– أوه أنه ليس دواء خطرا . ليس أخطر مثلا من الأسبرين الذى يقتل كل سنة مئات من الأشخاص لأنهم يتناولون منه كميات كبيرة . أن كثيرا من الأدوية المسكنة التى تباع بدون أمر الطبيب يمكن أن يكون لها رد فعل كبير إذا ما تناولها أحد بدون تمييز ، ومع ذلك فهناك تعليمات واضحة على كل من هذه المسكنات ، ويجب الانقطاع عن تناولها على الفور ، بمجرد ظهور هذه الأعراض .

– وهل سألتها إن كانت تناولت بعضاً من هذه الأقراص ؟.

– طبعا ، وقد أجابنى بأنها لم تسمع عنها أبدا وأردت أن أتحقق من ظنونى عندئذ فمنعت عنها أى طعام آخر غير ذلك الذى تتناوله من المستشفى ، ووخصوصا الحلوى أو الفاكهة الآتية من الخارج ، ومنعت عنها الزيارات فى مواعيد الطعام ، وأمرت بإعطائها بعض المضادات وبعد

أربع وعشرين ساعة تحسنت حالتها ،وبعد يومين كانت قد شفيت تماما ويمكنها أن تغادر المستشفى الآن ، لو أني واثق أنها لا تتعرض لأى خطر فى بيتها .

نظرت إليه فى تفكير وقلت :

– عندما قلت أنك كنت تشك فى أنها تناولت هذا المسكن الذى تتكلم عنه فهل كنت تعنى أن تقول أنها تناولته حتى وهى موجودة فى المستشفى .

– أوه نعم ، حتى اليوم الذى طبقت عليها النظام الجديد .

– هل تشتبه فى أحد على وجه الخصوص ؟.

– حسنا كان زوجها يزورها أثناء تناولها الطعام ، ولعله كان يضع المهدئ فى فنجان الشاى ، وقد أحضر لها مرة أو مرتين بعض الحلوى أو الفاكهة ، وعندما طبقت نظام الأمان صادرت ما تبقى منها لتحليله ، وكانت النتيجة سلبية ، وعليه فإذا كان قد أعطاها شيئا فلابد أن ذلك كان أثناء تناول الطعام .

آه ولكن لماذا يعطيها ما لا يكفى لقتلها ؟ مهما يكن فهو لن يجنى الا فاتورة بمصاريف المستشفى وأتعاب الأطباء .

– لعله لم يكن يدرى أن هذا المهدئ لا يمكن أن يتسبب فى الوفاة أننى لا أعرف شيئا عن مسيو موشير إلا أنه ميكانيكى يشتغل فى جراج ، ولكنه بصفته هذه لا يجب أن يعرف الكثير عن الأدوية ، ولعله حسب أن هذا الدواء سيقتلها .

– أه أظن أن هناك طرقا كثيرة يمكن بواسطتها أن تتأكد إذا كان

المسكن قد أعطى لها .. بتحليل الدم مثلا ؟.

هز رأسه إشارة على النفى وقال :

– لم يبق فى جسمها أى شئ يمكن الاستدلال منه على ذلك .. إننى أشتبه فى أن ذلك المسكن بالذات قد تسبب فى هذه الأعراض ، ولكن ليس لدى أي دليل .

نهضت وقلت :

– أشكرك كثيرا يا دكتور فى أية غرفة موجودة مسز موشير .

– فى الغرفة رقم ٣٢٣ ، ولكن ماذا تنوى أن تفعل ؟.

– سأذهب لرؤيتها ولأكون لنفسى رأيا .

قال وقد تملكه القلق :

– أنك لن تقول لزوجها أننى أتهمته ، أليس كذلك ؟.. إذا رفع قضية تشهير على فلن أكون فى وضع يمكننى من أن أدافع عن نفسى وأنا لا أملك ضده أى دليل .

طمأنته قائلا :

– سأتكتم الأمر لن أتسبب لك فى أية مضايقات

ووصلت إلى المستشفى أثناء ساعات الزيارة بعد الظهر ، وكانت الغرفة رقم ٣٢٣ ، غرفة خاصة وكانت المريضة وحدها .

ولا أدرى لماذا ولكن ربما لأننى لا أتوقع أن يحاول أى رجل التخلص من زوجة شابة جميلة ، فقد حسبت أننى سأجد نفسى أمام امرأة مشاكسة ،

متقدمة فى العمر ولكن أرلين موشير لم يكن يزيد عمرها عن الثانية والعشرين ، وكانت فائقة الجمال ، وإن كانت نحيلة جدا ، كانت لها عينان واسعتان زرقاوان ، وشعر بلون العسل الأسود يحيط بوجهها النضر ، ومع ذلك كل ما فيها كئيبا ، ولعل ذلك لأنها كانت مريضة ، ولكنى أحسست بأنها مجردة تماما عن كل شخصية ..

لم تكن راقدة فوق الفراش ، ولكنها كانت جالسة أمام النافذة مرتدية روب دى شامبر وحذاء خفيفا وعندما دخلت نظرت إلى مستفهمة فقلت :

– أنا الرقيب صمود هاريس ، من البوليس يا مسز موشير ، لا يبدو عليك انك مريضة جدا .

– أوه أننى على ما يرام ، ولكنهم يرفضون أن أعود إلى البيت ولماذا يهتم البوليس بى ؟..

– هى مسألة روتينية ، فأن المستشفيات تبلغنا دائما بحالات التسمم عن طريق العقاقير ، ونقوم بالتحرى نتيجة لذلك ، وقد جاءنا تقرير ، ويبدو أنك تناولت كمية كبيرة من المسكنات .

– هذا سخيف ، لم أتناول أى مسكن فى حياتى ، وقد قلت ذلك لدكتور مونتز .

– آه .. مم كنت تشكين أذن ؟.

ليست لدى أية فكرة ، ولا أظن أن الدكتور لديه أية فكرة هو الآخر ومهما يكن فقد انتظمت الأمور الآن

كان هناك مقعدان آخران بالغرفة ، فسحبت مقعدا ورددت البصر حولى

وأنا أقول :

– هذه غرفة خاصة ، أليست باهظة التكاليف ؟..

– إن لدينا وثيقة تأمين ضد المرض تسدد أكبر جزء من النفقات ، لقد أصر هارى على أن أكون على أحسن ما يمكن بغض النظر عن التكاليف ..

– هل هارى هذا زوجك ؟.

نعم ما كنا لنستطيع دفع النفقات لو لم أدخل المستشفى ، فإن المصاريف بلغت أكثر من خمسين دولار فى اليوم بهذه التحاليل والفحوص ولو أنه كان يتعين علينا دفع هذه المصاريف لآثرت العلاج بالعيادة الخارجية ، فإن هارى ميكانيكى بسيط وهو يعمل فى جراج سوتر ريبر ..

– هل تعنين جراج جرافرا الكبير ؟.

أومأت برأسها فقلت :

– أن سيارتى بحاجة إلى بعض الإصلاحات هل يتقاضى راتبا كبيرا .

– أوه ، نعم أنه ميكانيكى قدير جدا ، وهذا غريب لأنه لا يحب الأعمال اليدوية ، إنه كان يشعر دائما برغبته فى إصلاح السيارات ، ولكن كان ذلك عن هواية وتسلية فقط ، فهو يكره أن يفعل هذا لكى يكسب قوت يومه ، إن لزوجى آراء غريبة .

وقبل أن أستطيع أن أقول شيئا ، ظهرت بالباب فتاة سمراء من نفس الشئ ، وكانت ترتدى معطفا خفيفا أزرق اللون وقبعه مزدانة بالزهور وقالت تخاطب أرلين :

– صباح الخير ، يبدو لى أنك عوفيت تماما .

– هو ذلك ولكن أدخلى .

وقفت فى حين دخلت الفتاة الغرفة ، وقدمتها إلى أرلين موشير على أنها مسز كارول واجنر ، وأردفت تقول إن زوجها مستر واجنر كان شاهداً على زواجها من هارى وأن هذا الأخير كان شاهد على زواج كارول ووالتر .

وسألتها :

– هل تزوجتم حديثا ؟.

– كلا إن والتر وكارول تزوجا فى يونية الماضى أما أنا وهارى فقد تزوجنا منذ ثلاث سنوات ،كان والتر وهارى معا فى الجامعة .

قلت لنفسى إذن فقد كان هارى فى الجامعة ، وتساءلت لماذا يعمل ميكانيكى فى هذه الحالة ، وقررت أن أستعلم :

– ألم يستطع هارى أن يجد عملا أفضل من أن يكون ميكانيكيا بشهادته الجامعية ؟.

أجابت أرلين قبل أن تفتح كارول فمها :

– إنه لم يقض فى الجامعة سوى سنتين ، تزوج قبل أن يفرغ من دراسته ..

شئ ما فى صوتها نم عن شئ من السخط لأن زوج صديقتها أضطر أن يهجر دراسته ، ورأيت أن من الأهمية أن أتحدث فى هذا الموضوع مع كارول على حدة .

وجلست السمراء على مقعد وجلست أنا من جديد ، وقالت :

– أن أرلين قدمتك على أنك الرقيب هاريس فهل أنت من رجال البوليس

- نعم يا سيدتى ..

- أظن أنها زيارة ودية وليست رسمية ؟..

أجابت أرلين :

- إنه هنا فى عمل رسمى ، أن هذا الغبى الدكتور مونتز قال إننى تناولت كمية كبيرة من المسكنات ، فهل سمعت هذا ؟..

قلت مصححا :

- بل قال أنك ربما تناولت ، وقد بنى شكوكه على الأعراض ، ومادمت تقولين أنك لم تتناولى شيئا فأنه أخطأ ..

وقالت كارول بفضول :

- ما الذى حمل الدكتور على هذا الظن يا أرلين ؟.

أظن أنه لا يعرف ماذا أصابنى ، وأنت تعرفين الأطباء ، فهم عندما لايستطيعون تشخيص المرض يقولون أى شئ .

قالت كارول :

- لا تذكرى الأطباء بسوء فإن عمل والتر يتوقف عليهم .

سألتها :

- وماذا يفعل ؟.

- إنه صيدلى .

وأضجعت فى مقعدى إلى الخلف وتركتهما تثرثران ، وإذا كانتا قد دهشتا لبقائى بعد أن فرغت من عملى كما يبدو فقد كانت كل منهما مهذبة

بحيث لم تذكر ذلك ، وتحدثنا لمدة ربع ساعة عن أصدقائهما المشتركين ، ثم نهضت كارول تبغى الأنصراف ..

ونهضت فى نفس الوقت وقلت :

– أظن أننى سأنصرف أنا الآخر يا مسز موشير ، ويؤسفنى أنى أزعجتك بلا دا ع ..

– لا أهمية لهذا فلا يزورنى أناس كثيرون بعد الظهر والوقت يبدو طويلا إن هارى يأتى كل ليلة ولكنه يعمل حتى الخامسة ويتناول عشاءه قبل أن يأتى .

ومضت بضع دقائق قبل أن نغادر الغرفة ،لأن كارول سألت أرلين متى تنوى أن تعود إلى البيت ، وأجابت هذه بأنها لا تدرى ، وأرادت أن تعرف كيف يستطيع هارى تدبير أموره وحده ، وأخيراً خرجنا معا ومضينا نحو المصعد .

وسألتها ونحن فى المصعد :

– ماذا كان يدرس هارى فى الجامعة ؟.

– نفس الشئ كزوجى .. الصيدلة .

فكرت :

– هذا مثير .. أن هارى قضى سنتين فى دراسة الصيدلة وبهذا أصبح بمقدورة أن يختار سما قوى المفعول عن ذلك المهدئ إذا كان يريد أن يقتل زوجته ، وبدأت أظن أن الدكتور هربرت مونتز قد شطح به الخيال ، وأن رأى أرلين موشير عنه ربما كان صحيحا ، وأنه لم يعرف كيف يشخص

المرض فقال أى شئ ..

وقررت أن أكتب فى تقريرى عند عودتى إلى قسم البوليس " ليس هناك أى دليل إجرامى ".. وأن لا أهتم بهذه المسألة بعد ذلك .

وبلغنا المصعد وضغطت الجرس ، وسألت لكى أقول شيئا :

- كم عمر هارى موشير ؟.

- نفس عمر زوجي ، ثلاثة وعشرون سنة ؟.

- إذن فهو قد ترك دراسته لكى يتزوج ؟.

- نعم ، وهذا شئ يؤسف له ، وقد كنا من الذكاء ، فانتظر والتر حتى يفرغ من دراسته ، وهو الآن يشغل وظيفة طبية ، وسيستطيع أن يستقر على حسابه بعد قليل ، أما هاري المسكين فسوف يبقى ميكانيكيا طول حياته .

ولحظت فى كلماتها لمسة أخرى من السخط فقلت :

- هل تعتقدين أن هارى أخطأ ؟..

- كان ذلك غباء تاما ، كان يمكنهما أن ينتظرا ، وطبعا فى هذه الحالة ما كان هارى ليرضى أن يتزوج أرلين ، فهي لم تكن فى الجامعة معنا كانت جرسونة فى مطعم ، وأظن أن هارى أراد أن يغازلها فحسب ، وأنه لم يكن فى نيته أن يتزوج منها .

وانفتح باب المصعد ودخلنا ، وكانت هناك ممرضة بالداخل بحيث لم نستأنف الحديث إلا بعد أن بلغنا الدور الأرضى .

وسألتها أقول ونحن نخرج من المستشفى لماذا تزوجها هارى إذن ؟.

حملته على الظن بأنها حامل ، وعندما أكتشف أن الأمر غير صحيح كانا قد تزوجا وتخلى عن دراسته .

أصبحت المسألة واضحة فجأة فهنا سبب واضح للقتل .. سبب يكاد يبرر القتل .

– ألم يثر ذلك حفيظته قليلا ؟.

– أوه .. أنها زعمت أنها أخطأت حقا ، ولاريب أنه صدقها ، لانهما يبدو انهم متفاهمين .

وكنا قد بلغنا الباب ، فأفسحت لها الطريق لكى تخرج وفيما نحن نهبط الدرجات المؤدية الى الأفريز سألتها ثانية :

– هل أنجبا أطفالا ؟..

– كلا ، فقد أجهضت أرلين بعد سنة من الزواج عندما وقعت من السلم .

وبلغنا الأفريز وتوقفنا ..

– لم تكن هذه أول مرة تذهب فيها إلى المستشفى أذن ؟.

ضحكت ضحكة قصيرة وقالت :

–أرلين ؟. . أنها تقضى نصف حياتها فى المستشفى هذه رابع مرة تذهب فيها إلى المستشفى خلال سنتين .

– أوه .. ماذا أصابها غير كسر ساقها وهذا الحرص الغامض ؟.

– قبل كل شئ تشنج عقب تناول طعام ، ثم آلام فى المعدة لم يعرف أحد أسبابها أبداً ، وقد خشى الدكتور أن تكون قرحة في المعدة ، ولكن بعد

أسبوعين من الفحص والأشعات المتكررة قال أنه ليس بها أى شئ ، وأظن أن هذه الأمراض ، فيما عدا كسر الساق والإجهاض ما هى إلا أمراض نفسية .

– وهل أقامت فى هذا المستشفى دائما ؟ المرتان الأخيرتان فقط ، أما المرتان الأوليان فقد دخلت مستشفى بارنس ، لماذا ؟.

– لا لشئ إلا لمجرد الحديث .

– ورفعت يدى إلى قبعتى وقلت :

– يسرنى أنني تعرفت بك يا مسز واجنر .

– إلى اللقاء أيها الرقيب .

وعاد كل منا إلى سيارته ، وكانت السيارة التى أقودها سيارة الخدمة ، فأعدتها وركبت سيارتى ، وكانت مفاتيح تخفيف السرعة بحاجة إلى الضبط وكنت أريد أصلاحها منذ وقت طويل ، ووجدت هذه المرة الفرصة مناسبة لذلك ..

وكانت الساعة قد بلغت الرابعة بعد الظهر عندما وقفت أمام جراج سوتر ريبر ، وأسرع إلى عامل فى نحو الخمسين من عمره يرتدى عفريته ، وسألنى عما أريد فقلت له :

– إن مفتاح تخفيف السرعة غير مضبوط ، وأحب أن يفحصه هارى موشير إذا لم يكن مشغولا ، فقد قيل لى أنه ميكانيكى ممتاز .

– كما تشاء ، إن لديه عملا الآن ، ولكن فى مقدوره أن يتركه لحظة ، إذا كان هذا كل ما تريد فهو أمر بسيط .

وأشار إلى أن أقف بسيارتى بجوار الجدار ثم أبتعد ، وبعد بضع دقائق أقترب منى شاب وسيم أشقر له شعر مجعد وكان هو الآخر يرتدى عفريته وحدجنى فى فضول وقال :

– قيل لى أنك طلبتنى أنا بالذات .

– هو ذلك ، فقد تعرفت بزوجتك وقالت لى أنك ميكانيكى ممتاز ، اسمى صود هاريس.

زم شفتيه وقال :

– لا أذكر أن أرلين حدثتنى عنك لن أصافحك لأن يدى قذرة ، ماذا بسيارتك ؟..

– إن مفتاح تخفيف السرعة معطوب ..

رفع غطاء المحرك ، وفى أقل من خمس دقائق كان قد أصلح العطب وبعد أن مسح يديه فى خرقة قديمة وكتب الفاتورة سألني :

– منذ متى وأنت تعرف زوجتى ؟.

– عرفتها اليوم فقط فقد ذهبت لرؤيتها فى المستشفى ..عمل روتينى ، فأنا من رجال البوليس .

بقى وجهه جامدا وقال :

– أوه ..

وأردفت :

– أنا لست فى الخدمة الآن ، وكنت بحاجة إلى أصلاح المفتاح –

– آه فهمت ، ولماذا ذهبت لرؤيتها ؟.

– أننا نتحرى دائما عن حالات التسمم التى يخطروننا بها ، وأظنك تعرف أن الدكتور شخص المسألة على أنها نتيجة لتناول كمية كبيرة من المسكن .

– إنه قال لى ذلك ، ولكن هذا مستحيل أن أرلين لا تتناول مسكنا أبداً.

– نعم ، هذا ما ازعمته ، ولكنها دخلت المستشفى مرارا كثيرة بعد زواجكما .

قست نظرته قليلا وقال :

– هل تقوم بتحقيق ؟ ما معنى هذا بالذات ؟..

– إن تحرياتى انتهت ، وأنا الان أتبادل الحديث ، حدجنى بضع لحظات فى تفكير ثم قال أخيراً :

– نعم .. أنها دخلت المستشفى أكثر من مرة ، يمكنك أن تدفع الفاتورة للصراف ..

وأولانى ظهره ثم انصرف ..

لم أشعر بخيبة إزاء الأستقبال الفاتر الذى قابلنى هارى موشير به فكل ما كنت أهدف إليه هو أن أجد الفرصة لدراسة ذلك الشاب ، وأنا أعرف منذ وقت طويل أن القتلة لا يختلفون أبداً عن غيرهم من الناس .

ولكن فى الإمكان أن تكون فكرة عن شخصية وطباع أى مشبوه نتجاذب الحديث معه ، وعلى الرغم من برودته معى فقد بدأ لى هارى موشير فتى شهما لاريب أنه يحظى بتقدير رئيسه وزملائه ..

وليس معنى هذا أنه لم يفكر فى قتل زوجته فالظواهر خداعة دائما ولكننى تمنيت أن لا يقوم بدور ذى اللحية الزرقاء لأنه أعطانى أنطباعا لا بأس به ..

وكانت الساعة قد أشرفت على الخامسة عندما غادرت الجراج ، ولم تبد لى القضية من الأهمية بحيث أعمل ساعات إضافية وعدت إلى القسم لأبلغ أن مهمتى أنتهت ..

وفى صباح اليوم التالى ذهبت فى الساعة التاسعة إلى مستشفى سانت لوك ، ولكننى لم أذهب لزيارة مسز موشير ، وإنما لكى أفحص سجل الدخول وعرفت منه أن أرلين موشير دخلت المستشفى قبل ذلك بستة شهور على أثر مغص معوى حاد بأمر الدكتور نورمان جيتوورث .

وكان جيتوورث موجودا فى ذلك الصباح ، فأرسلت إليه كلمة ، وتقابلنا فى البهو ، كان رجلا بدينا فى الستين من عمره ، وبعد أن قدمت نفسى إليه وصافحته سألته :

– هل تتذكر مريضة بأسم مسز موشير طلبت أدخالها المستشفى منذ ستة شهور ..

وكان لابد له من أن يداعب شحمة أذنه فى تفكير قبل أن يتمكن من تذكرها ، ولكنه هز رأسه أخيراً وقال :

– حالة أشتباه فى قرحة معوية أرسها إلى طبيب العائلة ، وقد قمنا ببعض الفحوص ، وأخذنا بعض الأشعات لمدة أسبوعين كاملين ، دون أن نتمكن من معرفة أصل الداء ، كانت تشكو من آلام مبرحة فى منطقة المعدة ، ولكن الأمراض أختفت أثناء إقامتها فى المستشفى ومما لاريب فيه

أن الأمر لم يكن بأكثر من التهاب معوى بسيط ، ويكفى أن نعالج مرضانا بالباريوم أثناء الفحص بالأشعة لكى تشفى فى أغلب الحالات .

- أما كان يمكن أن تكون محاولة تسميم .

رفع حاجبيه وقال :

- أعتقد ذلك ، فكثير من السموم تتسبب فى مثل هذه الآلام المعوية ولكنها لم تكن مريضة إلى هذا الحد ، و لم تتعرض أبدا للموت .

ولما لم يكن من غير المعقول أن يقع اختيار رجل كهارى موشير ، درس الصيدلة بعض الوقت ، على نوع من السم غير قاتل مرتين متتاليتين فقد بدا لى أن التحقيق الذى أقوم به لن يسفر عن شئ ، وشكرت الدكتور جيتوورث وغادرت المستشفى .

ومع ذلك فلم أكن قد صممت على التخلى عن القضية ، وزوجتى تنعتنى دائما بأنني عنيد ، وهى على حق من غير شك ، وأنا لست شرطيا متألقا ، فيجب أن أعوض ذكائى بأن أرضى ضميرى ولهذا قررت الاستمرار فى التحقيق حتى النهاية على الرغم من أنني لم أكن أدرى كيف أبدأ .

وفى مستشفى بارنس عرفت أن أرلين موشير دخلت المستشفى مرتين بناء على طلب الدكتور أرنولد وينج ، وهو الطبيب المعالج الذى أرسلها إلى الدكتور جيتوورث .. كانت قد أمضيت بالمستشفى ستة شهور فى المرة التى انكسرت فيها ساقها وأجهضت ، وأسبوعين بسبب الآلام المبرحة التى أحست بها فى معدتها .

وكانت عيادة الدكتور أرنولد وينج فى سوشجراند فاتصلت به تليفونيا

لكى أتواعد معه على اللقاء ، وذهبت إليه بعد الغداء ..

كان رجلا متقدما فى السن محدودب الظهر ، لم يكن يختلف إليه مرضى كثيرون ، لأنني لم أجد أحدا فى غرفة الأنتظار عندما ذهبت إليه ، وسألته عن رأيه فى الألم المعوى الذى أحست به أرلين فقال :

- كان ذلك منذ سنة ونصف تقريبا ، ولم تكن حالتها خطيرة ولكننا لم نعرف أبداً السبب فى مرضها هذا .

- هل تناولت شيئا لم يتناوله زوجها ؟.

فكر لحظة ثم قال :

- كلا .. لا أظن ذلك فاننى أتذكر أنهما تناولا العشاء فى بيتهما معا ومعنى هذا أنها هى التى أعدت الطعام ، ولم يشك زوجها من أى شئ ، ولكن ليس لهذا أى معنى ، فمن الجائز أنها أكلت من طبق لم تغسله جيداً أو بشوكة قذرة ، فأن كثيرا من الحالات المشابهة يرجع سببها إلى أوان غير نظيفة لا إلى طعام فاسد .

- ألا يمكن أن تكون آلامها بسبب تسمم مقصود ؟

بدت الدهشة عليه وقال :

- ولماذا هذا السؤال ؟..

- حسنا فيما عدا الإجهاض والساق المكسورة فأن أمراضها كلها تبدو غير محددة ، كهذه المرة مثلا فهى قد دخلت مستشفى سانت لوك ، بسبب ورم فى المخ ولكن الأعراض أختفت الآن ، وطبيب الأمراض العصبية التى عالجها يشتبه فى أنها تناولت بعض الأقراص المسكنة .

قطب الدكتور وينج حاجبيه وقال :

– لم أكن أدرى أنها كانت فى المستشفى ، لاريب أنهما أستشارا طبيبا آخر ..

– إن طبيب العيون عالجها هو الذى أرسلها ولا ريب أنه خطر لها أنه لا داعى لاستشارتك ،لأنها كانت تشكو من آلام فى عينيها ومهما يكن فأننى أقوم بالتحقيق لكى أعرف اذا كانت أمراضها سببها تناول أدوية خطيرة ..

– هناك أدوية كثيرة تتسبب فى حالات من التسمم طبعا ، ومع ذلك فأنها لم تتناول شيئا شديد الخطورة لأنها لم تكن مريضة حقا ، أن حالتها لم تكن حرجة أبدا ..

أحسست مرة أخرى بأنني أضيع وقتى ، فلم يكن معقولا أن يختار طالب صيدلة ثلاث مرات متعاقبة سموما ليست لها أية فاعلية إذا كان قد أراد أن يرتكب جريمة قتل ..

واستيقظ أهتمامى عندما أردف يقول فى بطء :

– ومع ذلك فإنها عندما وقعت من السلم أشتبهت فى محاولة للقتل ، لماذا ؟..

ادعت أنها أصدمت فى شئ أعلى السلم ، وقال زوجها ذلك هو الآخر ولكنه زعم بدوره أنه لم يكن هناك أى شئ يمكن أن تتعثر فيه ، ومع ذلك فقد كان هناك قطع فى قصبة ساقها لا يمكن أن يكون قد نجم الا من وجود سلك معدنى ممدود ، والتفسير الوحيد لذلك هو أنه أراد أن يقتلها وأنه أضطر إلى أن يغير رأيه بعد أن رآها تقع .

- ولماذا تقول هذا ؟..

- كان هارى موشير موجودا فى البيت عندما وقع ذلك ، وهو ليس بالرجل الغبى وإذا كان قد أراد أن يقتل زوجته فقد كان يجب أن يعلم أن السقطة من على السلم لا تكفى لقتلها ، فان مثل هذه الحادثة لا يمكن أن تسبب فى قتل امرأة تتمتع بصحة جيدة ، وكان تعليلى فى ذلك الوقت هو أنه لو أراد أن يتخلص منها لأجهز عليها بعد وقوعها على أمل أن يعتقد الجميع أنها ماتت على الفور ، وبما أنه لم يفعل ذلك، فقد استنتجت أننى شطحت بعيدا بخيالى ، والواقع أنه أسرع باستدعاء عربة أسعاف وضع لها جبيرة فى أنتظار وصولها وتصرفه هذا بعد الحادث يثبت أنه لم يتسبب فيه .

هذا صحيح فاذا كان قد حاول أن يقتلها فقد أتضح أنه قاتل غبى وشكرته لاصغائه لى وأنصرفت ..

وأن أشد رجال الشرطة عنادا لا يمكن أن يرهق نفسه فى الأهتمام بقضية حين يرى أنه ليس هناك داع لاستمراره فى التحقيق ، وعندما عدت إلى المقر العام كتبت تقريرى ، وختمته بقولى :

- ليس هناك أي دليل على عمل إجرامى ، ثم وضعت التقرير على مكتب الملازم ومع ذلك فلم أكن مستريحا ، ولم أكف عن التفكير فى الأمر واتصلت أخيراً بالدكتور مونتيز تليفونيا وقلت له :

- أنني حققت فى سبب أقامات مسز موشير فى المستشفى فى المرات السابقة ، ولم أجد أى دليل إجرامى ضدها . ولكن الظروف بدت فى كل مرة من الغرابة بحيث أحس بنوع من الضيق ومع ذلك فليس هناك شئ

محدد يمكن أن نستند إليه لكى نفعل شيئا ..

قال :

– إننى أشعر بالارتياح على كل حال لأننى أستدعيتك أنني سأسمح لمسز موشير بالعودة إلى بيتها اليوم وأتمنى أن لا تستند شبهاتى على أساس وبهذه المناسبة كلمنى مستر موشير بالتليفون اليوم .

– أوه ، لماذا ؟.

– إنه يرجونى أن أرسل إليه كشفا بأتعابى محررا من أربع صور .

– أربع صور .. لأى سبب ؟.

– أظن أنه أبرم عدة وثائق للتأمين ضد المرض ، وهم يطلبون منى عادة كشفا من صورتين ولكن هذه أول مرة يطلب فيها أحد أربع صور .

يا للنصر العظيم ! وضح كل شئ الآن بحيث رحت أتساءل كيف لم أفطن إلى هذا منذ البداية .

وقلت :

– قد يبدو هذا تطفلا يا دكتور ، ولكن هل ترى مانعا من أن تذكر لى كم تبلغ قيمة أتعابك ؟.. أن لدى أسبابى لكى ألقى عليك هذا السؤال .

أجابنى فى شئ من الدهشة :

– هذا سؤال يبدو لى غريبا فى الواقع ولكن مادمت تقول أن لديك أسبابك أننى أتقاضى عشرة دولارات يوميا عن زياراتى للمستشفى ، ولما كانت مسز موشير قد أقامت فى المستشفى خمسة عشر يوما فان أتعابى

تبلغ مائة وخمسين دولارا .

- شكرا .. إذا أستجد جديد فسوف أخبرك به ..

واتصلت بعد ذلك تليفونيا بسكرتارية مستشفى سانت لوك ، وبطاقات دخول المستشفى تحمل أشارة بخصوص الطريقة الى ينوى المريض أن يسدد بها حسابه ، وتحمل بوجه خاص رسم شركة التأمين والبنك الذى يتعامل معه المريض ، وحصلت على ما أريد من معلومات ، كما عرفت قيمة الأتعاب الخاصة بالمرتين المذكورتين ..

ثم اتصلت بعد ذلك بمستشفى بارنز وبالطبيبين اللذين عالجا مسز موشير باستثناء الدكتور مونتز .

وكانت البنوك مغلقة فاضطررت أن أنتظر حتى الصباح للأستمرار فى تحرياتى وفى الساعة التاسعة كنت جالسا مع مدير البنك الذى يودع فيه آل موشير أموالهما .

وأصحاب البنوك ينفرون عادة من التحدث عن أعمال عملائهم حتى مع البوليس بدون أمر رسمى .

ولكنهم يقبلون مع ذلك التعاون إذا ضمنت لهم أن تحرياتك لها صفه شبه رسمية ، وأنك لن تستخدم معلوماتك كدليل أمام المحكمة الا بعد أن تقوم بالأجراءات القانونية للحصول عليها ، وعندما غادرت البنك كنت أعرف الموقف المالى الحقيقى لآل موشير ، ولما كنت أعرف أن هارى موشير موجود فى عمله طوال النهار ، فقد انتظرت حتى المساء لكى أذهب إليهما ، كانا يقيمان فى بيت صغير من دورين فى جيفرسون على مقربة من الجاراج الذى يعمل فيه هارى .

وفتحت أرلين لى الباب ، ودهشت عندما رأتنى ، ولكنها دعتنى للدخول فى أدب ، وكان زوجها جالسا فى الصالون ، فنهض ومد لى يده فى غير حرارة ، وسألنى فى فتور أن كنت أريد كأسا فقلت له :

– كلا شكرا ، وأنما أتيت لكي أتحدث معك قليلا عن إقامات زوجتك فى المستشفى .

وجلست على الأريكة أمامه ، وجلست أرلين على مقعد ، وكانت لا تزال تنظر إلى مستفهمة وقلت :

– إنني استعلمت عن تكاليف أمراض زوجتك خلال السنتين الأخيرتين ، أن المرض الآن أصبح يتكلف كثيرا ، وقد بلغت أتعاب الأطباء والمستشفيات ٥٨٣٠ دولارا .

أجابت أرلين على الفور وهى تلقى نظرة إلى زوجها لكى ترى رد فعله أمام الرقم المذكور :

– إن الجزء الأكبر من هذا المبلغ دفعته شركة التأمين .

قلت :

– أن الشركة دفعت مبلغ ٢٧٠٠ دولارا ، ولما كان مخدوم هارى يدفع أقساط التأمين فإن المبلغ الباقى يمثل جملة الأتعاب ، وذلك باستثناء الخمسمائة دولار التى يدفعها هارى سنويا من ماله الخاص لعقود التأمين الثلاثة الأخرى .

نظرت إلى دون أن تفهم وقالت :

– أيه ثلاث عقود ؟.

– كنت متأكد أنك لا تعرفين شيئا عنها ، أنها هي الأخري دفعت مصاريف مرضك .. والمبلغ الأجمالي قدره ٧٤٢٧ دولارا ، وسوف تدفع مبلغ أضافيا آخر يزيد عن خمسمائة دولار بمجرد أن يطالب زوجك بتسديد مصروفات أقامتك في المستشفى في المرة الأخيرة وبأستثناء الألف دولار قيمة التأمين التي دفعها من جيبه هاتين السنتين فقد أودع الباقي في البنك في حساب خاص به ، وفي نيته أن يستأنف دراسته بعد أن يفرغ منك نهائيا ..

نظرت إلى زوجها فاغرة الفاه وقالت :

– عم يتكلم يا هاري ؟..

قلت :

– سأخبرك بالأمر في كلمات قلائل

أن زوجك يحنق عليك لأنك أرغمته على الزواج منك على غير أرادته ، ولأنه أضطر أن يتخلى عن المهنة التي أختارها لمهنة أخرى يبغضها كل البغض ، ولهذا قرر أن يستخدمك لكي يتمكن من أقتصاد ما يكفيه من نقود لكي يستأنف دراسته من جديد ، أما ماذا ينوي أن يفعل بعد أن يقتصد ما يكفي من المال فهذا مالا أعرفه ، لعله ينوى أن يهجرك فحسب ، ولعله يفكر في مرض آخر يكون فيه نهايتك يمكنك أن تستفهمي منه عن ذلك .

ارتسم الرعب على وجهها وصاحت :

– هاري .. هل هذا صحيح ؟.

نظر زوجها إلي بعينين يتطاير منهما الشرر وقال :

- أثبت ما تقول أيها الرقيب .

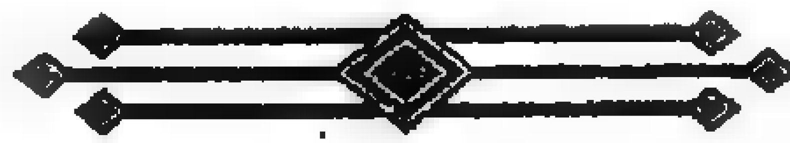
- أظن أننى لا أستطيع ذلك لكى يحلو لى أن أحاول أقناع هيئة من المحلفين بأنك تعمدت أن تقع زوجتك فريسة للمرض لأنه ليس لدى أى دليل على ذلك ، ولا يمكن أدانتك من غير دليل ، فليس هناك ما يستوجب اللوم وهناك أناس كثيرون يثرون بسبب أصابتهم بالمرض ليس فى نيتى أن ألقى القبض ، عليك .

لماذا جئت تضايقنا إذن ؟.

- لكى أطهر الجو فحسب ، وإذا كنت تفكر فى نهاية مفجعة لزوجتك فإننى أنصحك بأن تتخلى عن هذا المشروع ، على أننى أظن أنها لن تبقى معك مدة كافية لكى تسمح لك بحملها على اذدراء أية أقراص أو تدبير أية حادثة .

أدار عينيه نحو زوجته وأدرك ما أعنيه عندئذ فقد وقفت وهى فى منتهى السخط تنظر إليه بعينين يتطاير منهما الشرر ونهضت أنا وقلت :

- سأترككما الآن لكي تتفاهما معا ، وأرجو أن يكون ذلك بكل هدوء ولكن إذا حدث وأنتهى النقاش نهاية مفجعة لأى منكما ، فساعرف كيف أثبت للمحكمة ما حدث ، وعندما اجتزت الباب كانت أرلين تصعد السلم مسرعة لكى تحزم حقائبها من غير شك .



السكوت من ذهب

دار تيرنس دانيال بكئوس الكوكتيل على الجميع .. أعطى كأسا لأخته نورا أولا ، ثم كأسا لأبن عمه رالف مارتن ، وأخيرا كأسا أخرى لابن عمته البروفيسور هنرى ووكر .

وأخذ البروفيسور كأسه وقال :

- شكرا لك يا تيرنس إن مفتش البوليس الذى جاء أخيراً أكد أن الرصاصة التى أصابت من عمى مقتلا من عيار ٣٨ .

أومأ رالف مارتن بالإيجاب وحدق فى نيران الموقد فى تفكير وقال :

- يخامرنى إحساس بأن عمى إيمرى المسكين كان يمكن أن يموت ميتة طبيعية لو أن القاتل ،وهو واحد منا طبعا ، انتظر سنة أو سنتين على الأكثر .

وراحوا جميعا يحتسون شرابهم ، وهم ينصتون إلى أغنية تأتيهم من الخارج من خلال النوافذ .

هل كان يجب أن أنتظر حتى يموت ميتة طبيعية ؟.. ربما ولكن العم

إيمرى ينحدر من سلالة معروفة بطول العمر ، وعلى الرغم من أنه كان يشكو من المرض ، إلا أنه كان فى مقدوره أن يعيش عشرين سنة أخرى ، ولهذا آثرت أن لا أطيل الأنتظار .

الدافع ؟.. المال طبعا ...ميراث قدره مليون دولار لى وللورثة الثلاثة الأخرين والموجودين معى الآن ، يوزع على كل منا بالتساوى ، وبدت لى الغرفة خانقة وأحسست ببداية صداع شديد .

ابتسم تيرنس دانيلز ، وهو شاب طويل أسمر وقال :

– أظن أنه لابد لنا أن نقبل ذلك الاحتمال البغيض الذى يقوم على أن واحداً منا هو الذى قتل العم إيمرى .

أومأ رالف مارتن وقال :

– فى أى ساعة حدد الطبيب وقت الوفاة ؟.

أجاب البروفيسور وولكر :

– أنه يعتقد أن الوفاة وقعت فى الساعة الثالثة صباحا . والذى قتل منا العم إيمرى تسلل إلى غرفته فى تلك الساعة وأطلق عليه النار وهو نائم .

قال رالف مارتن وهو رجل قصير يكاد يكون أصلع :

– ويبدو أن أحداً منا لم يسمع صوت الرصاص .

قالت نورا دانيلز :

– لا غرابة فى هذا ، فإن بيت العم إيمرى واسع ، ثم إنه ينام وحده فى تلك الغرفة الضيقة بالدور الثالث ..

ومضى تيرنس إلى البار الصغير الكائن فى تجويف بالجدار ، وفتح بابه

وهو يقول

- ويقول كل منا أو يزعم أنه كان في فراشه في غرفته ، غارقاً في النوم وهذا أمر من العسير دحضه أو إثباته .. إنني لا أحسد رجال البوليس وهم يزاولون عملهم .

ونقل بعض الزجاجات من فوق الرف العلوى ثم قال :

- ولا يدهشني أن يفلت القاتل من العقاب .

نظر البروفسور وولكر إليه وهو يبحث بين الزجاجات وقال :

- هل تبحث عن شئ يا تيرنس ؟.

أخرج هذا الأخير علبة صغيرة معدنية وقال :

- أقراص الأسبرين كنت أعرف أنها هنا في مكان ما .. إن بي صداعا شديدا .

لست أدعى أنني احتجت إلى ذكاء كبير ، وإنما أحتطت للأمر بكل بساطة وكل ما هناك أنني خططت لكي تقع الجريمة في وقت نكون نحن الأربعة موجودين فيه في البيت ، واخترت ساعة يكون كل منا فيها غارقا في النوم في الظاهر ، وبهذه الطريقة ، ألقيت الشك على أربعة أشخاص بدلا من شخص واحد وقللت من احتمال الاشتباه في أمرى ..

وقد بدا لى أن أضمن شئ لسلامتي وإفلاتي من العقاب أن أبعد الجريمة نفسها عن كل تعقيد ، فلا تنميق ولا خطط مرسومة ، لم يكن هناك أسهل من أن أطلق الرصاص على عمي ، وأن أترك المسدس في غرفته .

وعندما رأيت تيرنس يزدرد أقراص الأسبرين حسدته ، لأن الأدوية

العادية لسوء الحظ لا تأثير لها على الصداع الذى أحس به .

كان البروفيسور وولكر نحيلا بدا الشيب يخطو إلى شعره ، وقال :

– إذا كنت قد فهمت جيدا ، فإنهم لم يجدوا أي بصمات على المسدس .

هزت نورا رأسها وكانت ترتدى تاييرا أسكوتلانديا وقالت :

– هذا صحيح .

ونظرت إلى يديها وأردفت :

– ألم يسفر الاختبار بالبارافين الذى أخضعونا له عن شئ ؟.

هز تيرنس رأسه وقال :

– كلا ، فلم يوجد بأصابع أى منا أثر للبارود ، ويعتقد البوليس أن القاتل قد لف يده وذراعه بملاءة أو بفوطة أو حتى بكيس مخدة قبل أن يستخدم المسدس .

" وخلافا لما يبدو أنه القاعدة العامة ، فأننا نحن الأربعة نكون عصبة متحدة ، وكل منا يكن نحو الثلاثة الآخرين مودة وأحتراما ، ولا يقع بيننا أى خلاف أو شجار ، ونتحد حتى فى وقت الشدة ، ونكون جبهة واحدة ليس فيها أى صدع "..

قد تساءلت ماذا يفعل كل منا بحصته من الميراث ، وأظن أن تيرنس المتحمس سيبدد حصته فورا ، أما رالف فسوف يستثمر حصته فى مشروع قوى ثابت ..

فرغ تيرنس من كأسه واستطرد يقول :

– هناك نقطة يجمل بنا أن نتداول فيها ، وهى أنه إذا نحن أكتشفنا

القاتل فهل يشى به أحد الآخرين ؟.

دل استفتاء سريع على النفى ، وقال البروفيسور مبتسما

– ولا حتى فى سبيل زيادة حصته فى الميراث ؟.

ونفى آخر ذلك وبقوة أكثر ، فقال تيرنس :

– حسنا ، يمكننا الأن أن نتكلم بصراحة ، من منا الذى قتل العم إيمرى أن الجانى لا يتعرض لأى خطر واعترافاته لن تتجاوز دائرتنا العائلية الصغيرة ، ولكن الفضول يستبد بى ..

هل عبر تيرنس عما يجيش فى نفسه حقا ؟.. وهل يضمن تضامن أفراد الأسرة الباقين ، ونظرت إلى وجهه متمعنا ، ولكن الاثنين الآخرين أنصتا وأطمأننت واقتنعت بأننى أستطيع أن أطلعهم على سرى دون خوف وهممت بأن أتكلم .

ولكن رالف ألقى كأسه الفارغ على المنضدة المنخفضة وقال كلا مامن شئ وشى به أحد منا إلى البوليس طبعا ولكن هناك احتمالا آخر ، لأنه ليس من المستبعد أن يتمكن البوليس من اكتشاف القاتل ..

ونقل بصره بين الثلاثة الآخرين واستطرد :

– وإذا تمكن البوليس من ذلك ، أفلا يمكن أن يكتشف أن القاتل كشف عن نفسه للأعضاء الآخرين من أسرته أولا ، وأنهم اتفقوا جميعا على إخفاء الحقيقة عن البوليس ثانيا .

حك البروفيسور ذقنه فى رفق وقال :

– أنا شخصيا مستعد أن أخاطر ..

هز رالف رأسه وقال

– ليس الأمر مجرد استعداد للمخاطرة ، ألا ترون أننا إذا عرفنا القاتل وأنه إذا تمكن البوليس بعد ذلك من توريطنا واتهامنا بإخفاء الحقيقة ، فلن يحصل أى منا على مليم واحد من الميراث ، لأنهم سيعتبروننا شركاء فى الجريمة عندئذ ، وحيث أن القاتل لا يحق له أن يرث القتيل فإن شركاءه لا يحق لهم ذلك أيضا ..

ساد صمت عميق فى الغرفة راح كل منا يفكر أثناءه ، وقطعته نورا أخيرا قائلة :

– فهمت ماذا افترضنا أن البوليس أكتشف أننا نخفى عنه اسم القاتل فإن تواطئنا فى الكتمان لن يكون له فائدة ما دمنا سنحرم جميعا من الميراث ..

قال رالف :

– تماما ، وأميل إلى الظن بأن القاتل حتى اذا اكتشف البوليس أمره لن يرضيه أن يحرم الثلاثة الآخرين ، ولهذا أرى أنه إذا كان يشعر نحونا بأى مودة كما نشعر نحن نحوه فأن من واجبه أن يستمر فى صمته .

وتنهد تيرنس فى أسف ثم عقب يقول :

– لعلك على حق يا رالف ولكننى واثق أن الفضول المكبوح سوف يقتلنى

وعلى الرغم من أننى شعرت بخيبة أمل لعدم استطاعتي أن أقول لهم أننى أنا القاتل ، فأننى أعترف أن تبرير رالف يدل على حكمة كبيرة ، وفتشت فى جيوبى بحثا عن أحمر شفاه .

ابتسمت نورا ابتسامة مبهمة وقالت :

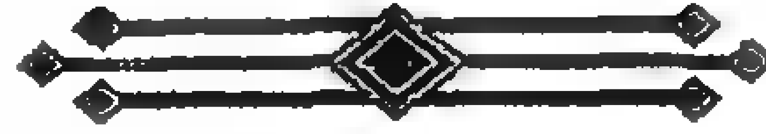
– ولكن لنفرض أننا ، بعد أن نحصل على حصتنا من الميراث يكشف القاتل عن نفسه أمامنا .. لن يستطيع البوليس أن ينزع نصيبنا منا عندئذ ، أليس كذلك ؟

ابتسم البروفيسور وولكر بدوره وقال :

– بلى أخشى أن يستطيع .

وأخرج يده من جيبه وقال :

– وبهذه المناسبة ، وجدت هذا الأحمر على طاولة البهو ، فى غرفة عمى بعد قتله ، أهو لك يا نورا .



الاعتـــراف

راحت حبات العرق تتساقط فوق جبين بيرن ، وخيم صمت عميق على المحكمة ، ولم يكن الرجل بحاجة إلى أن يدير رأسه لكى يعرف أن أعضاء هيئة المحلفين سوف يعودون بعد أن فرغوا من مداولتهم الطويلة .

وحاول أن يبدو جامدا غير مكترث ، ولكنه أحس مع ذلك برغبة شديدة فى أن يراهم ينظرون إليه ، وهم يدخلون القاعة ، الواحد بعدالآخر ، فقد سمع ذات يوم أنه إذا حاول المحلفون تجنب النظر إلى المتهم فأن معنى هذا أنهم قد أعتزموا أصدار قرارهم بالأدانة .

ومع ذلك فعندما نظر المحلفون إلى بيرن لم يشعر هذا بأى أرتياح لأنه لم يستطيع أن يخمن النتيجة ، ولم يستطع أن يفهم معنى النظرة التى ارتسمت فى عينى رئيسهم ، وهو جزار قاسى القسمات ، خاصة أنه كان يخفى عينيه خلف نظارة لها أطار من المعدن ، ثم أن الأبتسامة الجامدة التي أرتسمت على وجه السيدة التى جلست بجوار الجزار ، وراحت تلمس تنورتها بأصابعها باستمرار كان يمكن أن تكون ابتسامة تبعث الأطمئنان كما كان يمكن أن تكون ابتسامة شر مستطير .

ولم يذهب بيرن فى بحثه إلى أبعد من هذا لأن مطرقة القاضى غطت على نبضات قلبه ، وأشار محاميه ، هوجان إليه أن يقف وأن يواجه المحلفين ..

وانحنى القاضى إلى الأمام فى بطء وقال :

- أيها السادة المحلفون .. هل أتخذتم قرارا ؟..

وقف رئيس المحلفين وأجاب فى خطورة :

- نعم يا سيدى القاضى .

- وما هو ؟.

ترك رئيس المحلفين شكا أخيرا يحلق فوق رؤوس الحاضرين ثم قال :

- إننا نقرر أن المتهم غير مذنب .

أندفع الصحفيون إلى الخارج ، وأحس بيرن بركبتيه تخذلانه ، ولكنه أحتفظ بتوازنه ، وهوى القاضى بمطرقته لكى يعيد الصمت ، وأصدر حكمة ببراءة بيرن ، وشكر المحلفين فى برود ، ثم صرفهم وسجل بيرن كل ذلك كما لو كان يراه خلال ضباب .

وجلس متثاقلا ، وكان لابد له من يضع دقائق قبل أن يستطيع التركيز وتحول عندئذ إلى محامية وأخذ يد هوجان فى يديه وشكره فى صمت ، وتحرر هوجان منه وأخذ يضع ملفاته فى حافظته المنبعجة ..

وخلت قاعة المحكمة شيئا فشيئا ، فيما عدا بضعة أصدقاء شقوا طريقهم نحو بيرن ، وتوقفت عمتا زوجته أمام الباب ووقف ميد معهما ، وبدا هذا مرتبكا ، وله الحق لأنه كان صديقا له وأبن عم وشريك للمرأتين فى أعمالهما .

وصاحت أشدهما نحافة وهى تنظر إلى بيرن فى عينيه :

- يا للعدالة !.

وصاحت الثانية تقول :

- يا للسخرية !..

ودارتا على عقبيهما وخرجتا فى وقار ، وتبعهما ميد على مضض وهو يرمى بيرن بنظرة يائسة معناها :

- لا تسئ بى الظن على الخصوص .

وابتسم له بيرن ، ووقعت عيناه عندئذ على الملازم هاريس من البوليس الجنائى ، واختفت ابتسامته على الفور فأن الملازم هاريس هو الذى ألقى القبض عليه وشهد ضده ، وكان يقف معتمدا على عمود وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة ، ومر بعض الناس ، وأخفوا الملازم من عينى بيرن الذى تحول إلى أصدقائه الذين يثبون فى حماس تقريبا متخطين الحاجز الذى يفصل القاعة عن المحكمة .

ونهض بيرن كانت ساقاه لا تزالان ضعيفتين ، ولكنه لم يهتم بذلك فقد أحس فجأة بحاجته إلى الهرب من هذا المكان ، ومن كل ما يثيره من ذكريات مؤلمة ومع ذلك ، وبعد أن أصبح فى مقدوره الانصراف ومغادرة المحكمة وأستنشاق هواء الحرية ، فقد تردد والتف أصدقاءه حوله ، مرتبكين يحاولون أخفاء القلق الذى يظهر فى أعينهم .

- كنت أعلم أنك برئ ..

- كنا نعرف جميعا أنك كنت تحب مادلون ..

تنحنح بيرن وقال

- المهم أنكم وقفتم بجانبي في محنتي ، لن أستطيع أن أشكركم أبدا بما فيه الكفاية .

وتوتر وجهه في ابتسامة ، وأردف يقول :

- لا تقلقوا ، سوف أتغلب على هذه المحنة .

وضحكوا ، ولكن ضحكاتهم بدت جوفاء متكلفة في جو المحكمة حيث أبدت أصوات مختلفة براعة كبيرة طوال فترة المحاكمة .

ورأى بيرن ميد يعود وينظر إلى هوجان ، وكان منهمكا في وضع أوراقه في حافظته التي أوشكت أن تنفجر ، وحول عينيه من جديد فاذا بميد بجواره .

ونظر هذا الأخير إلى بيرن ، وأشار في حذر إلي الباب الذى سبق أن أخرج منه مع السيدتين وقال :

- إنني استدعيت لهما سيارة أجرة ، وأريد أن أقول لك أنني لم أصدق في أية لحظة أنك قتلت مادلون ..

- شكرا لك ..

ونظر بيرن إلى أصدقائه ، ثم تقدم خطوة إلي الأمام وقال :

- ما رأيكم في أن تأتوا لمشاركتي الشراب ، لنقل بعد ساعة ريثما أستعد .

وسارعوا جميعا بالقبول فيما عدا هوجان ، ونظر بيرن إليه وقال :

– ما رأيك ؟.

قفل هوجان حقيبته فى حركة جافة وقال :

– ليس من عادتى أن أرتبط بصداقات أجتماعية مع عملائى .

ولكنه قال فجأة وقد بدا أنه أتخذ قرارا :

– ولكنني سآتي .

وابتسم ، وكان نادرا ما يفعل ، غيرت هذه الابتسامة وجهة الكئيب ، وأردف فى صوت خافت لم يسمعه غير بيرن

– إنك تثير حيرتى إذا أردت الصراحة يا بيرن .. وأسمح لى أن أقول لك ذلك الآن .

وكان هناك حاجب يراقب بيرن فى فضول ، فتبعه حتى باب الخروج وأغلق الباب خلفه ، ولم يعر أحد من المارة بيرن أهتماما ، وراح هذا يتنفس بعمق وقد أحس بالهدوء والأرتياح لأن أحد لم يعرفه ، ورأى الملازم هاريس يجلس فى عربته وقد بدا عليه الأرهاق ، فأسرع بيرن الخطا ، وبلغ العربة فى نفس اللحظة التى صفق فيها الملازم الباب ، وقال له :

– طاب يومك أيها الملازم ..

ورماه هاريس بنظرة كئيبة ..

وهنأه أصدقاؤه بحرارة أكثر عندما أقبلوا إلى بيته .. بل بحرارة أكثر من اللازم تقريبا ، والواقع أنهم راحوا يبذلون جهدهم لأظهار مرحهم وعدم أكتراثهم لكى يقبلوه دون القاء أية أسئلة ، ولكى يبدو كما لو أن جريمة القتل والمحاكمة لم يكن لها وجود أبداً .

وجلس هوجان فى هدوء فى آخر الغرفة وراح يحدق بعينيه فى بيرن محاولا أختراق القناع البشرى وجلس ميد بعيداً هو الآخر ، وراح يحملق فى الكأس الذى فى يده بينما ألتف الآخرون ببيرن .

كان المرح شيئا لابد منه ، ولكن كان التصنع باديا .. نظرات ذكية وأحاديث تافهة ، وصمت مفاجئ لا تلبث أن تتبعه ثرثرة غير مناسبة ، وأفرط الجميع فى الشراب وهم يراقبون بيرن من جانب عيونهم ، وكان واضحا أنهم يفكرون .

" لقد مر الشباب بمحنة قاسية عصيبة ، ولا يجب أن نتحدث عنها ، فى الوقت الحاضر على الأقل ".

ومع ذلك فقد تكلم هو عنها .. أفرغ كأسه مرة واحدة ثم راح يبدي ملاحظات كلها سخرية عن القاضي والمدعى العام والمحلفين .

ونظروا إليه وهم فريسة لتردد ، كما لو كانوا يرون رجلا أجنبيا لم يروه يشرب هكذا أبدا .

ولكن ألم تعلمه هذه المحنة الجلد والأحتمال ، أولا تبرر هذا .. حاولوا أن يبدوا متفاهمين ، ولكنهم لم يجدوا مايقولون .

وابيض أنف بيرن ، وراح يدير البصر حوله ، كان يحاول أن يملك نفسه ولكن هل يستطيع أن يوقف سيلا جارفا ؟.

– ولكن لماذا لا تشربون ؟.. إننا لسنا فى جنازة ، إننا نحتفل بعودتى إلي الحياة .. هيا أشربوا .

وضحكوا فى شئ من الضيق .

ورفع بيرن كأسه وقال :

– أنني أشرب نخب صحة أصدقائى الأوفياء .

وطوح بكأسه من فوق كتفه وابتسم ، ورفع أصدقاؤه كئوسهم وهم يبتسمون وملأ بيرن كأسا آخر وهو يقول :

– ستبقى الشكوك قائمة فى أذهان البعض، ولكن اسمحوا لى أن أهدئ أذهانكم على الأقل ..

احتجوا جميعا قائلين :

– إنه لا داعى لذلك ، ولكنه أصم أذنيه ، وانتقلت نظرته خلفهم ، نحو النافذة الكبيرة المؤدية إلى الشرفة ، وراح يتأمل الليل والأشخاص المهتزة التي تنعكس على الألواح الزجاجية وقال فى مرح ووضوح تام :

– إننى أرتكبت جريمة قتل وأفلت من العقاب ، وومض فى عينيه وميض وحشى ، كما لو أنه أدرك أنه تمادى أكثر مما يجب ولم يعد يعرف كيف يتوقف ، وفى الصمت العميق الذى تلا ذلك نطق بالكلمات الآتية وكان لها وقع الصاعقة :

– أنا الذى قتلت مادلون ..

وتبادلوا النظرات مذهولين ، وبدوا لو أن لا يصدقوه ، ولكنهم صدقوه وأستطرد يقول :

– أستطيع الآن أن أتكلم بحرية وبدون أن أخشى أى أزعاج ..

ونهضوا جميعا كما لو كانوا هيئة من المحلفين ، وأبتعدوا عن بيرن ، وألقوا بكئوسهم فى حذر ، وأخذوا معاطفهم وقبعاتهم ، وكانت نظرة واحدة

إلى وجوهم تكفى لكى تعرف أنهم يفرون من المكان .

وكان هوجان أول من بلغ الباب ، وتحول إلى بيرن ونظر إليه متبرما وقال :

- كنت أعلم تماما أنه لم يكن يجب أن أتي ولاريب أننى كنت أخشى أن أسمع مثل هذا القول ، وخرج دون أن ينتظر حتى لكى يلبس معطفه أو قبعته ، وبدا غاضبا من نفسه أكثر من غضبه من بيرن .

وأنصرف الاخرون دون أن ينطق أحدهم بكلمة وقد غلبهم الغثيان رحلوا جميعا فيما عدا ميد ..

كان هذا الأخير لا يزال جالسا مكانه يدير كأسه بين أصابعه وعلى شفتيه ابتسامة غريبة .

وتحول بيرن إليه وقال يستثيره :

- لماذا لاتخرج مع الآخرين ؟..

رفع ميد عينيه إليه ، كأن يبتسم فى أسى وفى أدراك فى نفس الوقت وقال :

- لأننى أعرف أن هذا ليس صحيحا .

ورفع يده يوقف أحتجاج بيرن وقال :

- أوه ، إننى أعرف لماذا قلت ذلك .. لا لكى تصدم شعورنا ، ولا لكى تعاقب المجتمع الذى جرك إلى المحاكمة لجريمة لم ترتكبها .

- حقا ؟.. لماذا أذن ؟..

لأنك تشعر بأنك مذنب ، وهذا انعكاس بشرى ، فإن كلا منا قد تعنى فى

لحظة ما موت أحد ، وإذا ما مات هذا الشخص حتى إذا لم يكن لنا أى دخل فى موته فإننا نحس تقريبا بأننا مذنبون .

– نظر بيرن إليه ساخراً وقال :

– أوه هل تظن ذلك ؟.. سوف تغير رأيك يا عزيزي ، أنني قتلت مادلون حقا .. وأفلت من القصاص على الرغم من ذلك ..

– لاريب أن المحنة التى تعرضت لها أثرت فى عقلك أو ربما ..

أعتدل بيرن وقال :

– ربما ماذا ؟.

هز ميد رأسه وقال :

– كلا .. إن هو الا رد الفعل بدون شك ، هذا فضلا عن أنك شربت ، إنك كنت تحت الضغط مدة طويلة ، وأنت الآن تخفف عن نفسك .

ابتسم بيرن فى سخرية وقال :

– عبثا تحاول أن تقوم بدور النفسانى ، إن قتل مادلون لا يثقل على ضميرى أبدا .

حملق ميد داخل كأسه وقال :

– تكلم يا عزيزى .. تكلم ، ولكن عندما يزول تأثير الخمر فسوف تندم على ذلك .

ألقى بيرن كأسه وصب لنفسه قدراً آخر من الويسكى وقال :

– لن أندم أبدا يا صديقى أنني قتلتها برصاصة فى القلب حقا ..

مسكينة مادلون .. أنني أسأت معاملتها .

– لو كنت مكانك لكففت عن الشراب ، كيف تأمل أن تستعيد احترام الناس إذا أنت أصررت على هذا القول .

واستطرد يقول في لهجة حالمة :

– ولكن لعل الوقت قد فات الآن ، فأنت قد رأيت كيف قابل الآخرون الأمر .

الان وقد برأني القضاء فلست أعبأ بما قد يكون ، وأنني أعتبر أنني أستمتعت بحياتي ، ومع ذلك فأنت على حق في نقطة واحدة ، فإنني أشعر بأنني قد تخففت من حمل ثقيل .

ضج ميد بالضحك وقال :

– يمكنني إذا لزم الأمر أن أفترض أنك أحسست بحاجتك إلي أن تقتل مادلون ،وأعترف أن زوجتك كانت لاتطاق في بعض الأحيان ، ولكن كل هذا لا يعطيك العذر في هذا الهذر .

قطب بيرن حاجبيه وقال :

– هذر .. لأنني أتكلم الآن طواعية ودون أكراه ،لا تصدقني وتصدق ما أقسمت على أنه صدق لكي أنجو بحياتي ؟.

مرت سحابة أمام وجه ميد ، وتنفس في صوت مسموع ثم ابتسم وقال :

– ماذا تريد أن تثبت ؟.. أتريد أن يرميك الناس بالجنون ؟

أزدرد بيرن جرعة كبيرة من الخمر وقال ساخرا :

– إنك تحاول أن تبدو متساهلا ، وأراهن أنك في قرارة نفسك ، قد قابلت الأمر كالأخرين تماما ، لم تغضبك جريمتي بالذات ، وأنما أغضبك أنني أفتخر بارتكابها بعد أن قررت هيئة المحلفين أنني غير مذنب ، هذه هي الحقيقة ، أليس كذلك ؟.

نهض ميد فجأة وبدا العداء في عينيه وقال :

– أنت على حق في قولك هذا فقد أغضبني أنك تفتخر بارتكابها .

وألقى كأسه في عنف وقال :

– كان من الأوفق أن أنصرف مع الاخرين .

وأخذ معطفه وارتداه وقال :

– وإنني لأتساءل لماذا بقيت ، ربما لأنني أردت أن أرى إلي أي مدى يمكن أن تبلغ بك الحماقة .

نظر بيرن إلى ميد في ازدراء ثم أولاه ظهره ، ومضى إلي النافذة الكبيرة وفتحها على مصراعيها ، وأخذ نفسا طويلا ثم تحول وعلى شفتيه ابتسامة رديئة وقال :

– إلى حد أن أرتكب جريمة وأن أفلت من العقاب ، لمعت عينا ميد وقال :

– مهما يكن فمن الخطأ أن أغضب هكذا لست مسئولا وأنما ثمل ، قهقه بيرن وقال :

– ولكن هذا لا يمنع من أنني ارتكبت جريمة قتل وبرأني القضاء .

انتفخت عروق ميد من الغضب وقال :

– يالك من متبجح ، إن القضاء برأك لأنه لم يجد سلاح الجريمة .

ولن يجده أبدا ، لسبب بسيط وهو أننى ألقيت به فى المحجر ، الذى يقع خارج المدينة .

اقترب بيرن من الشرفة ، وأخذ نفسا طويلا من الهواء ، ونظر ميد إليه مشدوها وقال :

- هل تسمعنى يا بيرن ؟.. أنا الذى قتلت مادلون .

وجاء خلف بيرن واستطرد :

- وسأقتلك الآن أيها الأحمق المسكين ، فانك بعد الاعترافات التى أدليت بها الليلة سيعتقد الجميع انك لم تجد الجرأة لكى تعيش مع تبكيت ضميرك لجريمتك ، اصغ إلى الآن أيها الأحمق ، أقول لك إننى أنا الذى قتلت مادلون ، فقد مللتها وراحت تهددنى باثارة الفضيحة وعندئذ .

وتقدم باسطا يديه إلى الأمام على أهبة لكى يدفعه ، ولكن ظهر الملازم هارى من الظلام ، وتدخل بين الرجلين وقرقعت الأصفاد فى صوت خافت .

وتحول بيرن فى بطء ورأى الأصفاد المعدنية كنجوم تشق الضباب ووضحت رؤياه ، وتبين الضابط هاريس فى الظلام ، وبسمته الساخرة الأبدية على شفتيه .

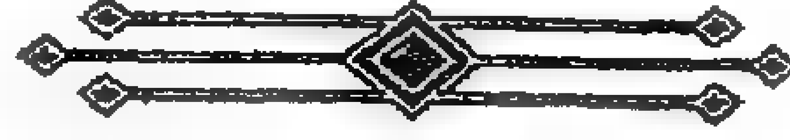
إننى كنت مخطئا إذن .. وإننى لا أزال أتساءل ما الذى جعلنى أوافق على خطتك .. فقد كنت لا أزال مقتنعا حتى اللحظة بأنك أنت الجانى .

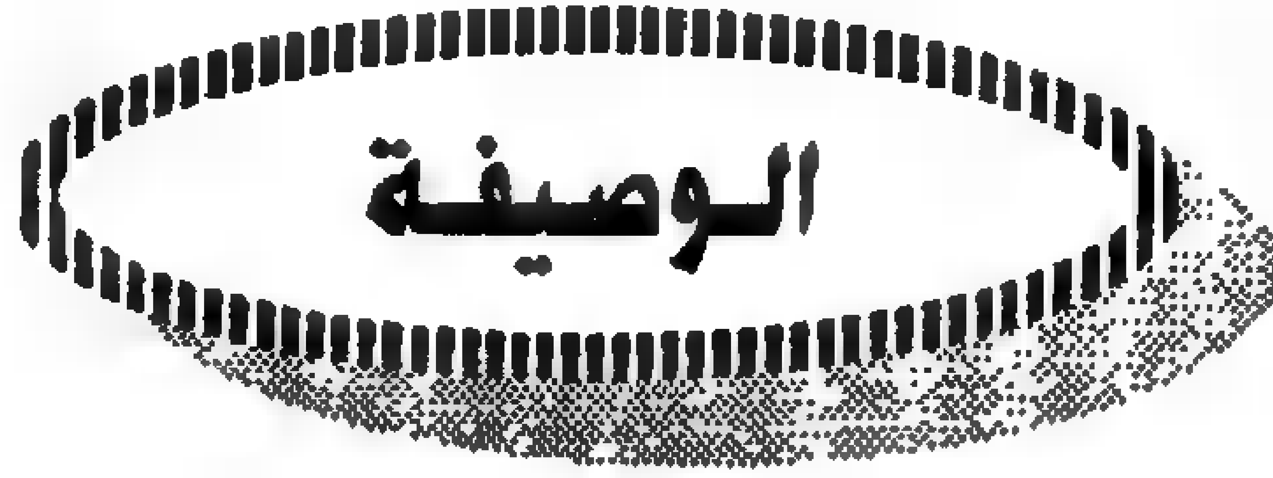
ودفع ميد نحو الباب قائلا :

- طابت ليلتك يا مستر بيرن .

- وليلتك أيها الملازم .

وعرض بيرن وجهه من جديد إلى الليل ، وسمع الباب وهو يقفل وأثمله هواء الفجر ...فقد أوشكت الليلة على الأنتهاء ولن يلبث الفجر أن يبزغ .





قالت مس هلييه :

- جاد دورك الآن يا دكتور لويد ، لاريب أن لديك قصة مثيرة .

تجمد الدم في عروقنا .

وابتسمت له تلك الابتسامة الحلوة التي تفتن كل ليلة مئات النظارة الذين يذهبون إلى المسرح لمشاهدتها كانوا يلقبونها في بعض الأحيان بأجمل امرأة في انجلترا وكانت الممثلات الأخريات الحاسدات قد اعتدن على الهمس فيما بينهن .

" أن جين ليست فنانة أبدا ، فهي لا تعرف شيئا في التمثيل إذا أدركتم ما نعنيه ولكن لها عينين ساحرتين "..

وكانت عيناها في الوقت الحالي تتوسلان إلى الكهل الأعزب الذي يقيم في قرية سنت ماري ميد ، منذ خمس سنين حيث يعنى بمرضاه -

شد الطبيب صديريته التي أتخذت أخيراً عادة مزعجة إذ كانت ترتفع فوق كرشه من وقت لآخر ، وراح يقدح ذاكرته ، لا شئ ألا لكي يحظى بإعجاب المخلوقة الجميلة التي تخاطبه بكل هذه الثقة .

وعادت جين تقول فى صوت حالم

- أشعر أنه سيطيب لى أن أغرق الليلة فى الجريمة حتى أذنى .

صاح مضيفها الكولونيل بانترى وهو يضحك ضحكة مرحة :

- هذا جميل ..جميل .

وكانت زوجته تفكر فى أنواع الخضر والبقول التى يجب أن تزرعها فى الربيع فردت إلى واجباتها المنزلية وقالت فى غير حماس :

- هذا جميل طبعا .

وقالت مس ماريل وفي عينيها بريق من الخبث :

- حقا يا عزيزتى ؟.

وعاد الدكتور لويد يقول :

- ولكن قرية سنت مارى ميد ليست متخصصة إطلاقا في الجرائم التي تجمد الدم فى العروق .

قال سير هنرى كليتننج وهو يلتفت إلى مس ماريل :

- إنك تثير دهشتنا يا صديقى . قد فهمت دائما من أقوال عزيزتنا مس ماريل أن قرية سنت مارى ميد ، ميدان حقيقى للجريمة والرذيلة .

أحتجت مس ماريل قائلة وقد أضطرمت وجنتاها الشاحبتان :

- أبدا يا سير هنرى . إننى واثقة أننى لم أقل شيئا كهذا أبدا ، أن الشئ الوحيد الذى أؤكده هو أن الطبيعة البشرية واحدة فى كل مكان ، سواء كان ذلك فى القرية أو فى العاصمة ، وكل ما فى الأمر أن هناك فرصا

أكثر لدراستها فى القرية عن كثب .

نظرت جين هلييه إلى الطبيب وقالت :

- ولكنك لم تقض كل حياتك هنا ، إنك أقمت فى أماكن كثيرة كلها غريبة أماكن تكثر فيها الأحداث قال الطبيب لويد وهو يقدح زناد فكره يائسا ـ

صحيح أننى ـ نعم ..الواقع ..نعم آه ..إننى أتذكر الآن ـ وأتكأ على ذراع مقعدة وهو يتنهد فى ارتياح ثم قال :

- حدث هذا منذ وقت طويل بحيث نسيت الأمر تقريبا .. ولكنه كان أمرا غريبا حقا .. غريبا جدا ، نعم وأن الصدفة البحتة هى التى ألقت بمفتاح القضية بين يدى .

أدنت مس هلييه مقعدها من مقعد الطبيب فى رشاقة ثم أعادت طلاء شفتيها وتظاهرت بالأهتمام به وتحول الأشخاص الآخرون المجتمعون فى غرفة الصالون إلى الراوى بدورهم وقد بدا الأهتمام على ملامحهم .

- لا أدرى إذا كان هناك من يعرف جزر كناريا ، قالت مس هلية :

- يبدو أنها جميلة جدا ، ولكن أين تقع بالضبط ؟.. أفى بحار الجنوب أم فى البحر الأبيض المتوسط ؟ أجابها الكولونيل :

- توقفت بها وانا فى طريقى إلى جنوب أفريقيا ، وأن صخرة تنريف عند غروب الشمس الرائعة .

- وقعت القصة التى سأذكرها لكم الآن منذ سنوات عديدة فى جزيرة جران كناريا ، ولم تقع فى تنريف ، كنت عليلا ، وأضطررت إلى التخلى عن مزاولة مهنتى فى انجلترا ، واتخذت مقامى فى لاس بالماس عاصمة جران

كناريا ، واتخذت لى عيادة هناك .. وقد راقت لى المعيشة فى تلك الجزيرة لأسباب كثيرة ، أهمها مناخها المعتدل من حيث الشمس والبحر ، وأنا أحب السباحة وأنشطة الميناء ، فهناك سفن تأتى من جميع بقاع العالم ، وتتوقف فى لاس بالماس ، وقد أعتدت أن أمضى كل صباح إلى الميناء لمشاهدة هذه السفن ، وهو منظر كان يروق لى كثيرا كما يروق للنساء مشاهدة حوانيت المودة والأزياء ..

وكانت هذه السفن القادمة من كل مكان تتوقف فى بعض الأحيان بضع ساعات فى لاس بالماس ، وكنت ترى فى فندق متروبول ، وهو أفخم فندق بالمدينة قوما من جميع الأجناس ومن جميع البلدان .. رحالة متنقلين .. وحتى الذين كانوا يمضون إلى تنريف كانوا يتوقفون فى جران كناريا قبل أن ينتقلوا إلى الجزيرة الأخرى .

وتبدأ قصتى فى فندق المتروبول بالذات يوم خميس من شهر يناير ، وكان بعض الرواد يرقصون فى إحدى القاعات ، وكنت أجلس إلى مائدة صغيرة مع صديق لى ، ورحنا ننظر إلي الموجودين ، وكانوا خليطا من الانجليز ومن أناس من جنسيات مختلفة ، ولكن غالبيتهم كانوا من الأسبان وعندما عزفت الأوركسترا التانجو أسرع نحو اثنى عشر شخصا من الرجال والنساء إلى حلبة الرقص ، وراحو يرقصون فى براعة كبيرة وأخذنا نتأملهم فى إعجاب شديد ، وخصوصا واحدة من الراقصات ، وكانت طويلة القامة جميلة رشيقة تتحرك حركات مثيرة تكاد تكون فاضحة ، وفى عينيها شقاوة وقلت ذلك لزميلى فهز رأسه موافقا وقال :

– إن النساء اللاتى شاكلتها خلقن لكى يقعن فى المشاكل والمتاعب .. إن الحياة لا يمكن أن تتساهن .

قلت :

– لعل الجمال هبة شديدة الخطر .

– إن الأمر ليس أمر الجمال فحسب ، بل أكثر انظر إليها جيدا لابد أن يقع لها حادث ، أو أن تتسبب فى وقوع أمر جلل على الأقل ـ كلا .. لا يمكن أن تقضى حياتها فى هدوء وأمان ،يكفى أن ترى الشقاوة التى فى عينيها لكى تعرف ذلك ..

وسكت لحظة ثم استطرد يقول وهو يبتسم :

– ويكفى أن تنظر إلى هاتين السيدتين الجالستين هناك ، لكى تعلم أنه لن يقع لهما شئ إطلاقا ، فهما قد خلقنا لحياة أمنة هادئة لا تتخللها أية طوارئ ..

وتابعت نظرته فرأيت سيدتين كانتا قد أقبلتا منذ قليل فى باخرة هولندية توقفت بالميناء بعد ظهر اليوم ،وأدركت ما يعينه صديقى وأنا أنظر اليهما بدورى ، كانت هيئتهما تدل على أنهما أنجليزيتان ،وكل منهما تخطو نحو الأربعين ، أحدهما شقراء ومكتنزة قليلا والأخرى سمراء ونحيلة شيئا ما .. كانتا من هذا النوع الذى اصطلح الناس على تسميته بالمحافظين ، ترتدى كل منهما ثيابا بسيطة عادية من نسيج التويد وقد خلا وجهاهما من الأصباغ ، ينبعث منهما ذلك الأحساس بالهدوء والأمان الذى يتسم به الإنجليز الكرماء النسب ، تشبهان ألافا من أخواتهن اللائى ينتقلن فى مختلف البلاد ،وقد عقدن النية على مشاهدة كل ما ينصحهن به الدليل غير أبهات بأى شئ أخر ، والاتى يختلفن إلى المكتبات العامة وإلى الكنيسة الأنجليزية فى أى بلد يهبطن فيه ، وكان يبدو على كل منهما أنها تهوى

الرسم شيئا ما ، وأن ما من شئ مثير أو ملفت للنظر يمكن أن يقع لهما أبدا ، وحولت أهتمامى إلى الراقصة الأسبانية ، ذات العينين الشقيتين النصف مطبقتين وابتسمت ..

تنهدت جين هلييه وقالت :

– إن النساء مخلوقات مسكينات ، ولكن من رأيى أن المرأة يجب أن تمنح كل ما لديها وأن تستمتع بالحياة أرايتم مثلا إلى تلك المرأة التى تقيم فى شارع بوند .. تلك المدعوة فالنتين .. أن أمرها يدعو إلى العجب .. فان أودرى دينمان ، تذهب إليها .. ولكن هل رأيتموها فى مسرحية " المنحدر شديد الخطر " .. فى الفصل الأول .. أنها تقوم بدور تلميذة ، وهى مدهشة حقا ، ومع ذلك فأن أودرى فى الخمسين من عمرها ، بل أننى أعتقد أنها أقرب إلى الستين منها إلى الخمسين ..

قالت مسز بانترى تخاطب الدكتور لويد :

– استمر أن القصص التى تدور حول الراقصات الأسبانيات تروق لى ، فهى تجعلنى أنسى أننى عجوز وبدينة ..

تمتم الطبيب معتذرا :

– إننى أعتذر .. ولكن أذا أردت الحق فإن القصة التى سأسوقها إليكم ليست قصة الأسبانية ..

حقا ؟.

– كلا فكما يحدث عادة فى مثل هذا النوع من القضايا أخطأت أنا وصديقى ، فلم يقع أى شئ غير عادى فيما بعد لأسبانيتنا الحسناء ، فقد

تزوجت بموظف بشركة بحرية وعندما غادرت الجزيرة كانت قد رزقت بخمسة أولاد ، وأزدادت سمنة وأصبحت بدينة ..

قالت مس ماربل :

- تماما كابنة وليم بيترز ، تلك التى كانت تمثل على المسرح وتجيد التنكر فى التمثيليات الإيمائية بسبب ساقيها فقد قيل أنها تنكبت الطريق القويم ولكنها لم تلبث أن تزوجت بوكيل تجارى وأصبحت زوجة ممتازة ..

قال سير هنرى فى رفق :

- ها قد عدنا إلى المقارنة الريفية !.

قال الطبيب :

- أ بدا .. فأن قصتى تتعلق بالأنجليزيتين ..

سألته مس هلبيه لاهثة :

هل حدث لهما شئ ؟.

- نعم ، وصباح اليوم التالى بالذات .

صاحت مسز بانترى فى لهجة مشجعة :

- وكيف هذا ؟..

- عندما غادرت فندق المتروبول ألقيت نظرة على المسجل بدافع الفضول وعرفت اسم كل منهما بدون أية صعوبة .. مس مارى بارتون ومس آمى ديورانت ، من أهالى ليتل بادوك بكوجتون وير ، ولم أكن أدرى عندئذ أنني سألتقى بهما بعد ذلك وفى ظروف مفجعة ..

فقد أعددت أنا وبعض الأصدقاء لرحلة ترفيهية فى اليوم التالى وكان يجب أن نقطع الجزيرة بالسيارة ، وأن نتناول الغداء فى مكان معروف باسم لاس نيفز ، وهو خليج صغير هادئ كنا ننوى الأستمتاع بالسباحة فيه كما يحلو لنا ، وسار البرنامج على ما يرام تماما فيما عدا أننا وصلنا متأخرين عما كنا نريد ، لأننا توقفنا فى الطريق لتناول الغداء ولم نصل إلى لاس نيفز للأستحمام إلا قبيل موعد تناول الشاى .

وعندما أقتربنا دهشنا أذا وجدنا هياجا كبيرا على الشاطئ ، فقد بدا كأن جميع الأهالى قد أحتشدوا على البحر ، وما أن رأونا حتى أقبلوا نحونا ، وبدأوا يتكلمون مسرعين ، ولم نكن نفهم الأسبانية جيدا ، وكان لابد لى من بضع دقائق قبل أن أفهم ما يقولون .

قالوا إن اثنتين من الأنجليز كانتا من الجنون بحيث نزلنا إلي البحر للأستحمام ، وأن أحداهما تهورت ومضت بعيدا ولم تلبث أن وجدت نفسها تواجه مشكلة وأسرعت الأخرى لنجدتها ، ولكن قواها خذلتها ، ولو لم يسرع أحد الرجال إليهما بقاربه لغرقتا معا .. ألا أنه وصل بعد فوات الأوان ولم يستطع أن ينقذ إلا المرأة الثانية أما الأخرى فقد عاد بها جثة هامدة .

وما أن أدركت حقيقة الأمر حتى شققت طريقى بين الجموع المحتشدة وأسرعت نحو الغريقة ، ولم أعرف المرأتين الأنجليزيتين فى بادئ الأمر ، ولم توقظ المرأة الممتلئة والتى تلبس المايوه الأسود والطاقية الخضراء فى نفسى أية ذكرى فى اللحظة التى رفعت عينيها إلى وفيها نظرة قلقه ، كانت منحنية بجوار جثة صديقتها تحاول أن تقوم بحركات خرقاء من حركات التنفس الصناعى .

وعندما قلت لها أننى طبيب تنهدت في أرتياح ونصحتها عندئذ أن تمضى وتجفف نفسها وترتدى ثيابها فى بيت من بيوت القرية ، ورافقتها إحدى صديقاتى فى حين حولت أهتمامى لاسعاف الأخرى .

وأنضممت إلى المرأة الثانية فى كوخ للصيادين ، وعرفت فيها إحدى الأنجليزيتن اللتين أقبلتا البارحة وألمت بالنبأ المحزن فى هدوء كبير ، وكان واضحا أن بشاعة المأساة قد هزتها إلى حد أنها لم تعد تشعر بأى ألم وراحت تردد قائلة :

– يالأمى المسكينة ! يالأمى المسكينة طالما تمنت أن تستحم هنا أنها سباحة بارعة ولا أفهم ما الذى جرى لها .. ما رأيك يا دكتور ؟..

– ربما أصيبت بتقلص فى ساقيها ، ولكن أخبرنى ما الذى حدث بالضبط ؟..

– أننا سبحنا نحو عشرين دقيقة ، وقد عرضت عليها أن نعود إلى الفندق ولكنها أرادت أن تستأنف السباحة فترة أخرى ، وفجأة سمعتها تستنجد ، فأسرعت إليها بقدر ما أستطعت ، وكانت لاتزال تطفو فوق سطح الماء عندما وصلت إليها وحاولت أنقاذها ، ولكنها تشبثت بى فى يأس بحيث كدنا نغرق معا ، ولولا ذلك الرجل لغرقت أنا الأخرى معها .

قلت :

– هذا ما يحدث عادة .. فمن الصعب أنقاذ شخص يغرق –

واستطردت مس بارتون تقول :

– إننا لم نأت إلا البارحة ، وكم كان سرورنا بهذه الأجازة القصيرة كنا

ننوى قضاءها فى هذه البلد الجميلة المشمسة ، أوه أن هذا فظيع ..

وطلبت منها أن تزيدنى إيضاحا عن الميته ، وأنا أقول لها أننى سأبذل قصارى جهدى لخدمتها وأن أولى الأمر فى أسبانيا سيطلبون هذه المعلومات بدون أدنى شك ، فتطوعت بذلك ..وقالت أن الغريقة كانت تدعى مس آمى ديورانت ، وهى وصيفتها منذ نحو خمسة شهور وأنهما كانتا متفاهمين تماماً ولكن مس ديورانت ، لم تحدثها عن أسرتها إلا بالقليل ، فقد تيتمت وهى صغيرة وفى سن مبكرة ، وتولى عمها تربيتها ، وأخذت تكسب قوتها منذ أن بلغت الحادية والعشرين ..

وأردف الطبيب يقول :

- هذه هى القصة .

احتجت مس هلييه على الفور قائلة :

- أننى لا أفهم .. هل هذا كل شئ ؟.. أنها قصة محزنة ولكنها ليست .. أعنى ليس فيها أى غموض .

قال سير هنرى :

- أظن أنه لا يزال لها بقية .

- طبعا فقد حدث شئ غريب أثناء الحادث ، أنني ألقيت طبعا بعض الأسئلة على الصيادين الذين شاهدوا المأساة ، وذكرت لى امرأة ملاحظة عجيبة لم أعرها أهتماما عندئذ ، ولكنها لم تلبث أن عادت إلى ذاكرتى فيما بعد ، فقد زعمت تلك المرأة أن مس ديورانت لم تكن تعانى من أية مشكلة .. صرخت تنادى صاحبتها وأن الأخرى لحقت بها ، فألقت رأسها فى الماء

عامدة ،وكما قلت لكم لم أعلق على قولها هذا أية أهمية فى البداية ، فقد كانت الرؤية تبدو مختلفة جدا من الشاطئ ،ولاريب أن مس بارتون حاولت أن تفقد زميلتها الرشد لكى لا تغرق هى الأخرى معها ، ولكن طبقا لشهادة الأسبانية تكون مس بارتون قد تعمدت أغراق وصيفتها .

لم أفكر فى ذلك الأمر فى البداية أذن ، وقد لقينا صعوبات جمة أنا ومس بارتون فى جمع بعض المعلومات عن مس ديورانت ،ففتشنا حقائبها ، وعثرنا على عنوان كتبت إليه ،ولكن أتضح أنه عنوان بيت كانت قد وضعت حاجياتها الخاصة فى غرفة منه ، ولم تكن صاحبة البيت تعرف عنها شيئا ، فيما عدا أنها جاءتها لاستئجار الغرفة ، وأنها قالت لها عندئذ أنها تحب أن يكون لها مكان تأوي إليه عندما تريد فى أى وقت ، وكانت تلك الغرفة لاتضم الا بعض قطع الأثاث القديم وبضع لوحات عادية وحقيبة مملوءة بأشياء كثيرة قديمة ،ولكن لم يكن بينها ما يمكن أن يقودنا إلى أكثر من ذلك ، وكانت قد قالت لصاحبة البيت أن أبويها ماتا فى الهند ،وهى ما تزال طفلة ،وأن عمها وهو قسيس تولى تربيتها بعد ذلك ولكنها لم تذكر عنوانه ولم تقل أن كان قد مات أو لا يزال على قيد الحياة ، وهكذا تخبطنا ولم نستطع أن نتقدم خطوة واحدة بعد ذلك ..

وعلى الرغم من أن كل هذه المعلومات كان يكتنفها الغموض الا أنها لم تكن كافية ،ولكن الدنيا حافلة بسيدات بيوت كتومات ، ولم نجد فى حقائبها بلاس بالماس ، غير صورتين قديمتين تمزقت حافتاهما بحيث ضاع أسم المصور ، كما وجدنا صورة قديمة مرسومة باليد لم يكن هناك ريب فى أنها لأمها أو لجدتها ..

وعندما تقدمت للألتحاق بخدمة مس بارتون جاءتها بشهادتين من مخدوميها السابقتين ، وتذكرت مس بارتون بعد أن فكرت طويلا أن إحدى هاتين الشهادتين صادرة من سيدة مقيمة فى أستراليا ، فكتبت إليها وجاءها الرد بعد مدة طويلة وأستطيع أن أقول أنه لم يفدنا فى قليل أو كثير فقد قالت تلك السيدة أن مس ديورانت كانت وصيفة أمينة ومخلصة جدا ولكنها لم تستطع القاء أى ضوء على حياتها الخاصة أو على أى شئ يتعلق بأصدقائها ..

لم يكن فى كل هذا إلا كل شئ عادى أذن ، ولكنني أحسست على الرغم من ذلك بأننى غير راض وأنا أستعيد فى ذهنى حادث الغرق لسببين على وجه الخصوص ، أولهما هذه المرأة التى لا نعرف عنها أى شئ تقريبا وثانيهما شهادة تلك الأسبانية الغريبة ، وأضفت إلي كل هذا بعد طول تفكير ملاحظة ثالثة ، وهى نظرة القلق والجزع التى بدت فى عينى مس بارتون وهى تبتعد عندما قلت لها أننى طبيب وعندما تحولت عنها فى محاولة لاسعاف الغريقة عبثا .

لم أستغرب قلقها وجزعها فى ذلك الوقت ، لأننى وجدتهما شيئين طبيعين .. كانا يعبران عن جزع وكرب لقلب ودود بالنسبة لصديقة أمام خطر الموت .. ولكننى لم ألبث أن وجدت لهذا القلق وذلك الجزع معنى أخر فيما بعد .. فلم تكن بين المرأتين أية علاقة متينة ، وعلى هذا لم يكن هناك ما يدعو إلى الحزن العميق وكان من المعقول أن تتعاطف مس بارتون مع مس ديورانت وأن تحزن لموتها ولا شئ أكثر .

ولكن إذا صح هذا فلماذا أذن هذا الجزع الشديد ؟ هذا هو السؤال

الذى راح يدور فى ذهنى دون أنقطاع ، فأن عينى لم تخدعانى فيما يتعلق بهذه النظرة ، وراح الرد يتشكل فى ذهنى على الرغم منى تقريبا لنفرض أن قصة الأسبانية كانت حقيقية ولنفرض أن مارى بارتون أرادت إغراق آمى ديورانت عمدا ، وأنها أفلحت فى ذلك بأن أبقت رأسها تحت الماء ، وأنها مع ذلك زعمت أنها حاولت إنقاذها ، وقد أسرع رجل بقاربه إليهما ، ولكن الأخرى كانت قد ماتت تقريبا والشاطئ فى مكان منعزل ، غير أننى لم ألبث أن ظهرت ، وكنت أنا الشخص الوحيد الذى تتوقع قدومه ، فأنا طبيب ، وأهم من ذلك أننى طبيب أنجليزى ، وهى تعرف تماما أن الغريق الذى يبقى تحت الماء مدة طويلة أطول من تلك المدة التى بقيت آمى ديورانت يمكن أسعافه بفضل التنفس الصناعى .. ولكنها يجب أن تقوم بدورها مع ذلك .. وأن تمضى وتتركنى وحدى مع الغريقة .. وإذا تلتفت خلفها أرى القلق والجزع مرسومين على وجهها ، فقد كانت تخشى أن تعود آمى ديورانت إلي الحياة ، وتفضى إلى بما حدث .

تمتمت جين هلييه تقول :

– أوه .. أننى أرتجف ..

ولكن الدكتور لويد أستطرد يقول :

– وإذ رأيت القصة من هذه الزواية بدت لى القضية أبشع وأصبحت شخصية آمى ديورانت أكثر غموضا ، فمن هى ؟.. من هذه الوصيفة التى لا شأن لها لكى تقتلها سيدتها ؟.. وأية قصة تختفى وراء هذه السباحة المفجعة ؟.. أن آمى ديورانت لم تلتحق بخدمة مارى بارتون إلا منذ بضعة شهور ، وقد جاءت بها هذه الأخيرة معها من الخارج ، ولكن الفاجعة وقعت

فى صباح اليوم التالى لقدومها .. ثم أنهما كانتا تبدوان أنجليزيتين رقيقتين من أصل كريم ، بدت لى القضية غريبة جدا .. بل بدت من الغرابة بحيث أننى أصبحت العوبة لخيالى .

سألته مس هلبيه قائلة :

– ألم تفعل شيئا ما ؟..

– وماذا كان باستطاعتى أن أفعل أيتها العزيزة الصغيرة ، لم يكن هناك أى دليل ، وغالبية شهود الرؤية ذكروا نفس القصة التى ذكرتها مس بارتون وسبهاتى أنا بالذات لم تكن تستند ألا على نظرة عابرة وربما أخطأت فهمهما كان الشئ الوحيد الذى كان باستطاعتى عمله هو استمرارى فى البحث عن أهل مس ديورانت أو معارفها ، وعندما عدت إلى أنجلترا مضيت لزيارة صاحبة البيت التى أستأجرت آمى يدورانت غرفة فيه ، ولكن زيارتى لها لم تأت بنتيجة ما كما سبق أن قلت لكم .

قالت مس ماربل :

– ولكنك أحسست بأن هناك شيئا غير طبيعى ؟ .

أحنى الدكتور لويد رأسه بالايجاب وقال :

– الحق أننى شعرت بالخجل من نفسى بعض الشئ ، فبأى حق أشتبه فى أن هذه الأنجليزية الكريمة المنبت قد ارتكبت مثل هذه الجريمة الفظيعة بعمد وإصرار ، بذلت جهدى لكى أكون رفيقا بها بقدر المستطاع أثناء الأيام التى قضيتها فى الجزيرة ، وساعدتها لدى المسئولين ، وبذلت كل ما يمكن لانجليزى أن يبذله لكى يساعد مواطنة له فى أرض الغربة ، ومع ذلك

فقد كنت متأكدا من أنها كانت تعلم أننى أشتبه فيها ، وأننى أشعر من نحوها بنفور كبير .

سألته مس ماربل :

– وهل أمضت مدة طويلة فى الجزيرة ؟.

– يخيل لى أنها بقيت فيها نحو خمسة عشر يوما ، وقد تم دفن مس ديورانت فى الجزيرة ، وأستلقت مس بارتون سفينة متجهة إلى أنجليترا بعد ذلك بعشرة أيام .. قالت أن الحادث أصابها بصدمة عنيفة وأنها لم تعد تستطيع البقاء فى جران كناريا كما كانت تنوى .

سألته مس ماربل من جديد :

– وهل كان يبدو عليها الاضطراب حقا ؟.

تردد الطبيب قبل أن يقول لها فى لهجة حذرة :

– حسنا لقد لحظت أن شيئا قد تغير فى مظهرها الخارجى .

قالت مس ماربل :

– ألا تكون قد .. أزدادت سمنة مثلا ؟.

– ولكن .. من العجيب أن تسألينى هذا السؤال ، فأننى الآن ، وأنا أفكر من جديد فى هذا الحادث أظن أنك على حق .. نعم .. خيل لى أنها ازدادت سمنة شيئا ما .

قالت جين هلييه وهى ترتجف :

– يا للفظاعة ! إنكم تقولون ذلك كما لو أنها سمنت من دم ضحيتها .

– ومع ذلك ولكى أكون صادقا فيما يتعلق بها يجب أن أقول إنها أبدت عشية سفرها ملاحظة بشأن القضية ، وكانت ملاحظتها مختلفة تماما .. كما لو أن ضميرها أخذ يستيقظ فى بطء .. فى بطء شديد إزاء بشاعة الجريمة التى ارتكبتها .

كانت مس بارتون قد طلبت منى أن أمضى لزيارتها وقد شكرتنى شكرا حارا لكل ما بذلته من أجلها ، وأجبتها بأننى إنما تصرفت التصرف الطبيعي فى مثل هذه الظروف ، وخيم علينا الصمت ثم ألقت على سؤالا فقالت فجأة :

– هل تعتقد أن الناس يحق لهم الاقتصاص من أنفسهم لأنفسهم فى بعض الأحيان أجبت بأن من المتعذر الرد على مثل هذا السؤال وإننى إجمالا لا أعتقد ذلك ، لأن القانون هو القانون ولابد من احترامه .

– ولكن حين يقف القانون عاجزا ؟..

– إننى لا أفهم ماذا تعنين تماما ..

– من المتعذر أن أشرح لك .. ولكن ألا تظن أن الظروف يمكن أن تحمل شخصا ، لسبب ثانوى بحت على الإقدام على شئ ما شئ يمكن أعتباره كأنه جريمة .

أجبت فى حدة أن كثيرا من المجرمين يخامرهم هذا الأحساس ، وأنهم يبررون لأنفسهم بذلك أنهم على حق ، ولكنها القت برأسها إلى الخلف وقالت :

– ولكن هذا فظيع .. فظيع .

ثم غيرت لهجتها وطلبت منى أن أعطيها عقارا يساعدها على النوم لأنها لم تعرف له طعما منذ (وترددت قبل أن تقول) ، منذ هذا الحادث الفظيع .

- هل أنت واثقة أن الأمر كذلك ؟.. أليس هناك ما يزعجك ؟ أليس فى ذهنك أى شئ ؟..

- فى ذهنى ؟ .. وما الذى يمكن أن يكون فى ذهني ؟ قالت ذلك فى حدة ، وفى شك فقلت فى غير أكتراث :

- - أن القلق يسبب الأرق فى بعض الأحيان ، بدت كأنها تفكر لحظة ثم قالت :

- تعنى القلق أمام المستقبل .. أو بخصوص الماضى ؟..

- الاثنان معا ..

- ليس هناك أية جدوى من القلق بخصوص الماضى ، لأنه شئ لا يمكن إعادته من جديد ، ثم ما الفائدة ؟ لا يمكن أن نعرف .. لا يمكن .

ووصف لها مخدرا خفيفا وودعتها ، وفيما أنا أنصرف عادت كلماتها إلى ذهنى .. لا يمكن إعادة الماضى ..ماذا ؟ .. أو من ؟..

وأظن أن هذا الحديث قد أعدنى شيئا ما إلي البقية ولم أكن أتوقعها ولكنها عندما وقعت لم أدهش أبدا لأن مارى بارتون بدت لى أثناء هذا الحديث الطويل امرأة مشككة غير خاطئة وضعيفة امرأة لها أعتقادات تحترمها ، ولا تستطيع التخلى عنها ، طالما أنها تبقى راسخة فى ذهنها .. تصورت خلال حديثنا الأخير أنها بدأت تشك فى نفسها، ولعل كلماتها

الأخيرة تركتني أخمن لأول وهلة أنها تشعر بذلك الشعور الممض المزعج . الذي لا يعرف صاحبه الهدوء أبداً ألا وهو وتأنيب الضمير .

ووقع الحادث في كورنواى ، على شاطئ صغير يكاد يكون مقفرا في مثل ذلك الوقت من السنة ، ويخيل لى أنني قرأت النبأ في شهر مارس في الجرائد .. سيدة نزلت في فندق قريب تدعى .. مس بارتون أدهشت الجميع بتصرفاتها .. فقد ظلت تمشى طوال الليل فى غرفتها جيئة وذهابا وهى تتكلم فى صوت مرتفع ، بحيث منعت جيرانها من النوم ، ثم ذهبت ذات يوم للقاء القسيس وقالت له أن لديها شيئا خطيرا تريد أن تعترف له به ، وأنها ارتكبت جريمة قتل ، ولكنها بدلا من أن تستمر فى الاعتراف نهضت فجأة وقالت إنها ستعود فى يوم آخر .

وحسب القسيس أنها امرأة مخبولة فلم يهتم بما حدثته به ..

ولكن لوحظ فى صباح اليوم التالى أنها ليست فى غرفتها ، وقد تركت رسالة للنائب العام تقول له فيها :

" حاولت أن أتحدث إلى القسيس أمس، وأن أعترف له بكل شئ ولكننى لم أستطيع لأنه لم يسمح لى بذلك ، وليس أمامى إلا وسيلة واحدة للتفكير ، حياة بحياة .. ويجب أن تنتهى حياتى ، كما أنهيت أنا حياتها ، ولهذا لابد من أن أغرق نفسى ، ظننت أن لى الحق فى أن أفعل ما فعلت ، ولكننى أرى الآن أنه لم يكن لى أى حق ، وأننى إذا أردت أن أحصل على عفو آمى يجب أن الحق بها ، أرجو أن لا تحملوا أحد مسئولية موتى مارى بارتون "..

وكانت ثيابها على البلاج ، وكان واضحا أنها ألقت بنفسها فى البحر وأن التيار جرفها بعيدا ..

ولم يعثروا على جثتها ، ولكن عندما طال غيابها بضعة أيام لم يسعهم الا الإقرار بأنها غرقت ، وكانت امرأة ثرية تبلغ ثروتها نحو مائة الف جنية ولما كانت قد ماتت من غير أن تترك وراءها وصية ، فقد آلت ثروتها إلى أقاربها الأقربين ، وهم أبناء عم لها يعيشون فى استراليا وقد أشارت الصحف أشارة قصيرة إلى فاجعة كورنواى قائلة أن موت ديورانت أخل بعقل صديقتها وفرغ المحققون إلى أنها أقدمت على الانتحار أثناء نوبة عارضة من الجنون .

وهكذا أسدلت الستار على فاجعة آمى ديورانت ومارى بارتون ..

وساد صمت طويل .. وتنهدت جين هليبه تنهيدة عميقة وقالت :

– ولكن لا يمكنك أن تتوقف عند هذه النقطة المشوقة أرجو أن تستمر .

– ولكن هذه ليست قصة مسلسلة يا مس هليبه ، أنما هى قصة عشت أحداثها ، والحياة تتوقف عندما يحلو لها ذلك .

– سيان عندى هذا .. أريد أن أعرف ..

قال سير هنرى عندئذ :

– علينا نحن أن نفكر ونشحذ عقولنا يا مس هليبه لماذا قتلت مس بارتون وصيفتها ؟.. هذه هى المشكلة التى يعرضها علينا الدكتور لويد ..

– لعمرى .. من الجائز أن تكون قتلتها لأسباب كثيرة .. أقصد – ولكننى والحق يقال لا أعرف .

لعلها قتلتها فى نوبة من الأنفعال الشديد ، أو بسبب الغيرة ، وأن كان الدكتور لم يشر فى حديثه إلى أى رجل .. ولكنها سافرت على ظهر باخرة

وأنتم تعرفون ما يرويه الجميع عن البواخر والرحلات البحرية .

سكتت مس هلبيه وهى تلهث ، وفكر الجميع أنها وأن كانت لها رأس جميلة الا أنها فارغة ، وقالت مسز بانترى عندئذ :

– أن لدى عدة أقتراحات ولكننى سأكتفى بأن أذكر لكم واحداً منها أظن أن والد مارى أثرى متسببا فى خراب والد آمى ديورانت ، وأن آمى قررت أن تنتقم .. ولكن لا .. ما أشد غبائى .. ليس الأمر كذلك أبدا هذا مزعج جدا .. لماذا قتلت المخدومه الثرية وصيفتها الفقيرة أذن ..؟ .

آه عرفت .. كان لمس بارتون أخ صغير ، وقد أحب مس ديورانت وأنتظرت مس بارتون حتى واتتها الفرصة .. ففقدت آمى مكانتها الأجتماعية ، وألحقتها مارى وصيفة لها ، وأخذتها معها إلى جزر كناريا حيث أنتقمت .. هذه هى الحقيقة أليس كذلك ؟.

قال سير هنرى :

– مدهش ولكن لم يذكر لنا أحد أنه كان لمس بارتون أخ صغير عنها .

– هذا استنتاج منطقى .. يجب أن يكون هناك أخ صغير ، والا فلن يكون هناك دافع ، ما رأيك يا أرثر ؟.. أجابها زوجها :

– هذا جميل جدا يا دوللى ، ولكنه ليس بأكثر من تخمينى ..

أجابت مس بانترى

– طبعا ، فهذا كل ما نستطيع أن نفعل ..أن نخمن .. فليس لدينا ما يهدينا.. ولكن أنت يا عزيزى ماذا تقترح ؟.

لا أدرى ماذا أقول .. لكننى أظن أن هناك شيئا فى اقتراح مس هلبيه ،

ربما كان هناك رجل .. اسمعى يا دوللى لماذا لا يكون القسيس هو هذا الرجل .. ربما أحبته كل منهما ، ولكنه فضل مس ديورانت فقتلتها مخدومتها بسبب الغيرة ، لا تنسى أن مس بارتون ذهبت إلى ذلك القسيس قبل أن تنتحر .

قال سير هنرى :

– سأقدم لكم اقتراحا أكثر دقة إذا سمحتم لى على الرغم من أنه ليس إلا مجرد نظرية ، من رأيى أن مس بارتون كانت مختلة العقل دائما ، فهناك أناس كثيرون على شاكلتها أكثر مما يمكن تصوره ، وقد أزداد خبلها خطورة ، واعتقدت أنه يحق لها أن تمحو بعض الناس من الوجود ، وأن عليها أن تخلص الدنيا من البعض .. وأنها يجب أن تبدأ بالذين يواجهون المشاكل والمصائب إننا لا نعرف طبعا شيئا من ماضى مس ديورانت ولكن لابد أنه كان لها ماض ، تتخلله المصائب والكوارث وعرفت مس بارتون بذلك وقررت أن تقتلها ، ولكن شرعية حركتها لم تلبث أن بدت لها أقل وضوحا فاضطربت وأنبها ضميرها ونهايتها تدل على أنها كانت مخبولة تماما .. ألا توافقيننى على ذلك يا مس ماربل ؟..

قالت العانس العجوز وهى تعتذر مبتسمة :

– أرانى مضطرة إلى أن أقول لا .. أننى أميل إلى الأعتقاد بأن نهايتها كانت نهاية امرأة ذكية وأسعة الحيلة ..

أطلقت مس هلبيه صيحة قصيرة وقالت :

– أوه أننى كنت غبية حقا ، هل أستطيع أن أبدى اقتراحا آخر ؟. لاريب أن هذا ما حدث بل هذا أكيد تهديد وأبتزاز، أرادت الوصيفة أن تهدد

مخدومتها ، ولكننى لا أدرى لأى سبب ، تقول مس ماربل أنها كانت امرأة ذكية إذا قتلت نفسها وأنالا أوافقها على هذا أبدا .

قال سير هنرى :

– ذلك لأن مس ماربل لاشك تعرف حالة مشابهة وقعت فى قرية سنت مارى ميد .

قالت العانس العجوز فى رفق :

– إنك تستخف بى دائما يا سير هنرى ، ولكن الواقع أن هذه القضية تعيد إلي ذاكرتى شيئا ما قصة مسز تروت العجوز التى كانت تقبض معاش ثلاث أسر فى ثلاث قرى مختلفة فى وقت واحد ، هذه جريمة تدل على براعة وتعقيد فى نفس الوقت ولكننى لا أرى كيف تلقى الضوء على المشكلة التى تثير أهتمامنا الآن .

أجابت مس ماربل :

– كلا طبعا فأنت لا يمكن أن تفهم ولكن أفراد كثيرين من هذه الأسر كانت فقيرة ، والمعاش كان يعتبر نجده كبيرة للأطفال ، وأننى أعرف أن من العسير أن يفهم رجل غريب عن هذه الناحية مثل هذه الأمور ، ولكن ما عنيت أن أقوله ، هو أن القضية كلها كانت تدور حول عجوز تشبه أية عجوز أخرى .

قال سير هنرى محيرا :

– ماذا تعنين ؟.

– إننى لا أحسن التفسير دائما ، وما أردت أن أقول هو أنه عندما وصف

الدكتور لويد هاتين السيدتين فى بداية قصته كان يجهل من هى مس بارتون ومن هى مس ديورانت ، وأظن أن أحد فى الفندق لم يعرف ذلك كان من الممكن معرفة كل منهما بالتحديد طبعا بعد يوم أو يومين ، ولكن فى صباح اليوم التالى ماتت أحداهما غرقا ، وقالت الأخرى أنها تدعى مس بارتون ، ولم يخطر ببال أحد إنها تكذب .

قال سير هنرى ببيطء :

– هل تظنين ؟ أوه .. أننى أرى .

هذا هو التفسير المنطقى ، وقد مر بذهن عزيزتنا مسز بانترى منذ لحظات حين قالت لماذا تقتل المخدومة الثرية وصيفتها الفقيرة كان هناك أحتمال كبير فى أن يحدث العكس أعنى أن هذا هو ما حدث حقا .

قال سير هنرى :

– حقا ؟ أننى لا أدرى ماذا أقول ..

واستطردت مس ماربل :

– ولكنها كان يجب أن ترتدى ثياب مس بارتون طبعا ، وكانت ضيقة عليها شيئا ما ولهذا خيل للدكتور لويد أنها أزدادت سمنة فجأة ، ولهذا السبب بالذات ألقيت عليها السؤال ، والرجل يخطر له عادة أن المرأة تزداد سمنة ولا يخطر له أبدا أن الثياب ضاقت عليها قالت مسز بانترى :

– ولكن إذا كانت مس آمى ديورانت هى التى قتلت مس بارتون فما الذى تستفيده من هذه الجريمة ؟.

قالت مس ماربل :

– أنها التزمت الهدوء لمدة شهر لهذا السبب بالذات وأظن أنها راحت تنتقل أثناء ذلك من مكان إلى أخر وهي تحرص على أن تبتعد عن الأماكن التى يمكن أن يعرفها فيها أحد ، وهذا ما عنيت عندما قلت أن أية امرأة عجوز تشبه أية امرأة عجوز أخرى من نفس السن ، ولا أظن أن أحد أهتم بالصورة الفوتوغرافية الملصقة على جواز السفر ، وأنتم تعرفون ما يحدث عادة مع موظفى أدارة جوزات السفر .

ثم ذهبت فى شهر مارس إلى تلك المدينة الصغيرة بكورنواى حيث تصرفت بتلك الطريقة الشاذة على الفور لكى تلفت إليها الأنظار بحيث إنهم عندما عثروا على ثيابها فوق الشاطئ ، وعرفوا بأمر الخطاب الذى تركته خلفها ، لم يفكر أحد فى النهاية المنطقية .

قال سير هنرى :

– وما هى ؟.

أجابت مس ماربل فى حزم :

– لم تكن هناك جثة كان هذا ما يجب أن يثير دهشة الناس على الفور لم تكن هناك كل أنواع التضليل التى حرصت عليها ، بما فى ذلك التظاهر بالجنون وتأنيب الضمير ، لم تكن هناك جثة ، وكان هذا ما يجب التفكير فيه .

سألتها مسز بانترى :

– هل تعنين ؟.. هل تعنين أن ضميرها لم يؤنبها أبداً .

صاحت مس ماربل :

– كلا طبعا .. مسز ثروت تماما مرة أخرى ، كانت مسز ثروت هى الأخرى مدهشة في تعقيد الآثار ، ولكنها وجدت أخيراً من هى أقوى منها وقد فهمت فى وضوح لعبة مس بارتون وتأنيب الضمير المزعوم .

– غرقت ؟

– كلا بل عادت إلي استراليا ، وإلا فإنني لا أفهم شيئا .

– إنك أصبت التخمين يا مس ماربل ، أما أنا فقد أكتشفت الحقيقة صدفة ، وكاد يغمى على فى ملبورن فى ذلك اليوم .

– ألهذا السبب تكلمت عن صدفة بحته ؟.

أحنى الدكتور لويد رأسه وقال :

– نعم .. وكان ذلك من سوء حظ مس بارتون نوعا ما .. أو بمعنى أصح مس آمى ديورانت كما تفضلين أن أدعوها ، فقد مارست مهنتى بعضا من الوقت فوق البواخر ، وهبطت ذات يوم فى ملبورن ، وكان أول من وقعت عيناى عليها هى السيدة التى حسبتها غرقت منذ مدة طويلة فى بلاج كورنواى ، وقد أدركت عندئذ أنه لابد لها من توريطى معها لكى تنجو بجلدها فاعترفت لى بالحقيقة .

كانت امرأة غريبة الأطوار حقا لا تقدس الأخلاقيات ، وكانت الأبنة الكبرى لأسرة مكونة من تسعة أولاد فقراء جداً .. وقد استنجدوا ذات مرة بابنة عمتهم الثرية والمقيمة فى أنجلترا ، ولكنها أقصتها عنهم بكل قسوة ، لانها سبق أن أختلفت مع أبيهم ، ولكنهم كانوا فى حاجة ماسة إلى المال وكان بينهم أشقاء ثلاثة وقعوا فريسة للمرض ، وكان لابد لهم من علاج

طويل ، ويبدو أن آمى بارتون أعدت جريمتها بكل برود وسافرت إلى انجلترا ودفعت أجرة سفرها مما تقاضته نظير عنايتها بأولاد بعض ركاب الباخرة ، وبعد وصولها بقليل التحقت تحت اسم ديورانت بخدمة مس بارتون ، بعد أن أستأجرت غرفة وضعت بها بعض قطع الأثاث القديم لكى تخلق لنفسها شخصية ، وجاءتها فكرة الغرق ، وأنتظرت أول فرصة مناسبة لكى تتخلص من أبنة عمها ثم أعدت بعد ذلك مسرح مأساتها الثانية ، وغادرت استراليا عقب ذلك وورثت هى وأختها ثروة مس بارتون .

قال سير هنرى :

– الحق أنها جريمة جريئة وتكاد تكون الجريمة الكاملة فلو أن مس بارتون هى التى ماتت فى جزر كناريا لاشتبهوا فى آمى ديورانت ولظهرت قرابتها للغريقة على الفور ، ولكن تغيير الشخصية والجريمة المزدوجة كما كان يمكن أن ندعوها أبعدت كل خطر من هذه الناحية ، نعم أنها تكون الجريمة الكاملة .

قالت مس بانترى :

– وماذا حدث لها يادكتور لويد ؟ وماذا فعلت أنت ؟

– أننى كنت فى موقف غريب يا مسز بانترى لم يكن لدى أدلة يقتنع بها لمسئولون ، حيث أنها أعترفت لى بعيدا عن الشهود وقررت أن أترك الطبيعة تأخذ مجراها خاصة وأننى قد لاحظت عليها على الرغم من هيئتها القوية أعراضا أستطعت أن أتأكد منها أنها لن تستمتع بالحياة مدة طويلة وقد رافقتها إلى بيتها ورأيت بقية الأسرة وهى أسرة ظريفة وكان أفرادها يحبون أختهم الكبرى كل الحب ، دون أن يخطر لهم أنها أقدمت على القتل فى

سبيلهم فلماذا أجلب اليأس لهؤلاء القوم السعداء ، فى حين أنه لم يكن باستطاعتى أثبات أى شئ ، وقد ماتت مس بارتون بعد ستة شهور من لقائى بها ، وقد تساءلت كثيرا بعد ذلك إذا كانت قد عاشت طوال هذه المدة فى سلام وأمان دون أن يبكتها ضميرها ..

قالت مسز بانترى فى توكيد :

– كلا طبعا ..

وقالت مس ماربل :

– أنا أيضا أرجو ذلك أن مسز ثروت بكتها ضميرها على كل حال .

بدا كأن مس هلبيه تصحو من حلم طويل وقالت :

– حسنا كانت هذه القصة طريفة ومشوقة .. مشوقة جدا .. ولكن إذا أردتم الحق فأننى لم أفهم من أغرقت من وما دخل مسز تروث فيها .

قالت مس ماربل :

– لا دخل لها أبدا يا عزيزتى .. فهى لم تكن الا امرأة .. امرأ ة غير طيبة تعيش فى قرية .

– آه .. امرأة تعيش فى قرية .. ولكن لا يقع أى شئ فى القرية حقا وأننى لواثقة أنني ما كنت لاكون على أى قدر من الذكاء لو أننى كنت أعيش فى إحدى القرى .



(تمت)

سلسلة روائع القصص البوليسية هتشوكك



















- ★ الياقوتة
- ★ اليد المقطوعة
- ★ الميت الحى
- ★ مسرح العرائس
- ★ ذو الوجهين
- ★ رصاصة فى الظلام
- ★ السفاح
- ★ المقبرة
- ★ الأنتحار
- ★ اليوم المشئوم

Marouf - book @ hotmail . com